محمد

الأعمال الكاملة

الجزء الأول

1. الدواوين الشعرية

منشورات



وزارة الثقافة والاتصال

محمد الميموني : الأعمال الكاملة. الجزء الأول
إخراج : أحمد جاريد
تنفيذ الإخراج : إدريس برادة
الإيداع القانوني :2002/0591
ردمك : 9981-832-93-6 (الجزء الأول)
منشورات وزارة الثقافة والاتصال، أبريل 2002
تصفيف وسحب : مطبعة دار المناهل ـ الرباط

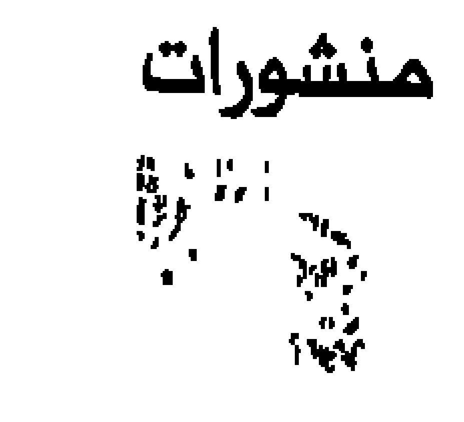
محمد الميموني

الأعمال الكاملة

الدواوين الشعرية

الجزء الأول

منشورات



وزارة الثقافة والاتصال

إهـــداء

إلى التي عانت معي هاجس هذا المشروع، وحبلت به معي جنينا، واحتضنته رضيعا، ورعته يافعا..

إلى فوزيــة.

1 ــ آخر أعوام العقم

1974

حكاية من جزيرة الدخان

يا إخوتي .. أتيتُ من جزيرة الدخان
منسوفة رؤايا
سَفر اليدين لكن ملء جعبتي حكايا
مرآتيَ التي حَمَلْتُ أصبحت مرايا
بألف عين، ألف رأس - ويْلتي! ألفيْ لسان!
بأيها أحكي لكم عن غزوة النفايا
في آخر الزمان

* * *

أحكي لكم عن مجلس السلطان ؟
والشاعر الذي أتى في صورة الشيطان
لِيُضحك الندمانَ والخصيان !
غاصتْ بوجهه الملامح وسار القهقرى
تفتحت به الأفواه في الأمام والورا
تقيء، اذ يرمي بها السلطان قرشا أصفرَ،
سيلا من الخنافس وسربا من ذباب،
لهفي على جبين الشعر غاص في التراب!

- (يا شيخنا يا صاحب الفضيلة
اذا جفّتْ حلوقُنا في سهرة طويلة
ألا يحل بلّها ولَوْ بجرعتيْن؟!
تململَ الشيخ وقال «ذاك بين بين،
إذا اختلى أحدكم بهذه البلايا
فليسدلِ الأستار حول غرفة الخبايا.
واستغفر الشيخ لها وحج مرتين»!
أحكي لكم عن قصة سلمان
وحُلوة الصبايا
تأتيه كلّما يَهلُ موسمُ القطافْ
تتزرُ الجمالَ ثم ترتدي العفافْ
فترقص العشايا
وتحلُم الضفافْ.
وفي جوار الورد حيث يسكن الحمام
تهامسا...وقبل أن يقول كلمتين
خفّتْ به رحال الحلم وامتدت خطاه
وارتجّت شفتاه :
-«زهراء....حين ينتهي القطاف،
جبريلُ من جناحيه سيبسط الحجاب
فردوسيّ الحنايا
ونكْتبُ الكتاب...»
الله! يا حدائق بلادي!
تفاحها والياسمين في ابتسامة الرضي وسكتة الجواب.

يا إخوتي وكان ذاك قبْل أن تَسْتَأسِدَ الخراف
في آخر المطافْ.
وبعدها لم تحتف الأعوام بمواسم القطافْ،
وزينةُ الصبايا
زهراءُ وحبيبُها سلمان
في خيمةٍ منفوضة الزوايا
يُحمّلان الشمس في غروبها السلام
ويعلكان الليل والنهار.....و الأعوام
وفي صباح من أيام آخر الزمان
استنسَرَ الغربان!
أواه يازهراء يا عروسة الرماد!
تزغردين من خلال النار، وسلمان
يمضي وخلفه التاريخ مرميَ العنان
يدٌ على الجراح ويد على الزّناد!

الغيث

قصيدة ـ مسرحية

(المسرح مقسوم إلى شقين : أيمن وأيسر. عند ما يضاء الشق الأيمن يغطي الظلام الشق الأيسر)

في الشق الأيمن يصطف موكب الشهداء، يلبسون ملابس بيض ناعمة، ينار المشهد بأنوار ناصعة البياض تشوبها زرقة وخضرة، يتحرك موكب الشهداء في رزانة وثبات وهو ينشد).

موكبة الشهداء :

مِن دمِنا السائلِ فوّاراً أحمر

امتّد أمامَ مسيرتنا دربٌ أخضر

ظهَر الأفق المحجوب

وصرَخنا، فانقطع السَّعَف الهَشّ وكان يكبل ألسننا

ومشينا لا يفزعنا الشبحُ المنصوبُ على المشجب

حتى دُسنا وجهَ الظلم الأجرب..

(ينتقل النور فجأة إلى الشق الأيسر، يظهر شخصان كانا يراقبان الموكب)

الأول (متعجب)

يبدون خفافا

وكأنهم ليسوا من طينتنا!

تحت خطاهم تنبسط السحب العليا أكتافا

تحملهم فوق عموم الناس فلا يقفون أمام الموت ضعافا

الثاني (مقاطعا)

استيقظ !

لا تركبْ متنَ الحلم النافر

فالسحب الهشة أضعف من أن تحمل خطوة بطل ثائر

لا أصْلبَ من أرضٍ تحمل موكبَ صُناع مصائر.

الأول :

صُناع مصائر أو عُشاق الموت!

مَنْ يتدنى شأنُ حياته عنده

لا يشغلَه كيف يكون مصيرٌ بَعده

دَعني أكبر فيهم انكارهمْ للذات

وحبّهمُ للموت.

أولا يكفي هذا فخارا !؟

الثاني :

ليسوا عشاق الموت

بلْ عشاق حياة

هاموا فيها حتي الموت

(ينتقل النور إلى الشق الأيمن، موكب الشهداء)

الشهيد (1) :

من جرح علي ..

الشهيد (2) :

وصمودِ العطشان حسين

الشهيد (3) :

ودماءِ

تُزهر في «أنوال»

الشهيد (1) :

فاض النهر المفعم بالنسغ على الأجيال ...

فامتلأ التاريخ أزهارا

(ينتقل النور إلى الشق الأيسر من المسرح، الشخص الأول مقاطعا)

الأول :

أزهارٌ يقطفها السفاكْ

يُقدمها للساقية الحبلَى في أول ماخور

يَشرب في جمجمة المصلوب

نَخْبَ النصر ويُدعى البطلُ الموهوب!

كم طاووس في الزمن الحاضر والغائب

أمسك عن أمته حتى النسمة

أعدم للشبهة والهمسة

وأحال رعاياه عبيداً خرسا

أو مدفونين

أو حراس مقابر

كي ينعم في مُلكه بالراحة والنعمة.

من وجَّهَ مجرى النهر؟

ومن ألقمه الموجُ إلى الحيتان؟

أو أهمِل في ركن النسيان؟

الموتـــى؟

أم الحراسُ الخرس ؟

أم الملكُ النشوان؟

الثانـي :

الانسان الحالم بالخير،
الذائب في العمل النافع
وَجّهَ ـ لو تَعْلَم ـ مجرى النهر
لا الطاووسُ المغرور
ولا العبْدُ الراكع.
الغارس لا يحسد جاني غرسه بَعْده
أو ملتمِسًا ظِله.

(يضاء الشق الأيمن من المسرح، التاريخ، .. بصوت متمهل وقور..)

التاريـخ :

كم ينخدع الناسُ بهذا الزبَد الطافي
يصرفهم عن صخب العمق الهادر
يُلقى بالوحل وبالصخر العاتى
للبحر، ويحفر مجراه الغائر
حيث الخصب وحيث النسغ الصافي.
يا أبنائـــي،
عبْر حياتي الممتدة في الزمن الغابر
أمشي في قافلة الإنسان
في موكبه الرائع
كمْ مرَّ على الموكب من معبود خادع
أو مَلك مفتون نشوان
انكب على المرآة
وتأمّل حتى تاه
وتوهّم : ما كان ليحيا أحدٌ لولاه
لكني رأيت مشاعل قافلة الانسان

لا توقد في صخب الاعلان.

المجرى الحي بقلب الحرّ

هو الصانـــع

أما الزبد المرفوع على السطحْ

فهــو التابـــع

(يغطي الظلام الشق الأيمن ويضاء الأيسر الشخصان وكأنهما أفاقا من غيبوبة)

الأول :

هـــذا الشيخ الفاني

يأتي كالشاهد لا يحكم للمظلوم ولا للجاني

يملأ بالطوب وبالذهب وفاضه

يمشي خلفَ الركب

لا يدرك ما يجري في القدّام

الثانـي :

هذا الشيخ العابر

تتدفق من عمق الغابر رؤياه

وتبدد أستار الحاضرْ

إنّ صوّب لا يخطئ مرماه

الأول :

كمْ تعجبني طرفه

لو عاد سأسأل عن باقي

قصة ذاك الملك النشوان

وسأحضر حبري وأوراقي

(يسمع صوت التاريخ)

التاريـخ :

يا أبنائي

هاكم قصة ذاك الملك النشوانْ

(يضاء الشق الأيمن قليلا. بينما يغطى الظلام الشق الأيسر بتدرج)

المنظر : قاعة توحي بالفخامة : يجلس الملك في صدرها وتحيط به الحاشية يدخل السياف

الملـك :

مَا يَحمل خادمُنا الأرضى ؟

السياف :

يعضَ الواجب ـ يا مولايَ ـ

وكلَّ الطاعة :

مزَّقنا الأفواه الوقحة

وغسلْنا الأمخاخ الوسخة

ونصبنا في كل بيوت المملكة الكبرى سماعة،

ولكي نحميَ من مرض الثورة شعبك

أعدمْنا المرضى

كبراءُ القوم الآن يؤدون الظمأى

وجموعُ الأوباش الظمأى

يكفيها طبْل واذاعة

وتَسير وراءكَ مُنصاعة

الملـك :

لا فض فمُ القائل :

«جَوّعْ كلبك، يتبعك»

(واحد من الحاشية تظهر عليه سمات الجد والتواضع .. يقاطع الملك)

واحد من الحاشية : ـ 1 ـ

لكن احذَره، إذا طال الجوع

الملـك :

ماذا أسمع

صَرحْ وأبِنْ قولَك

واحد من الحاشية :ـ 2 ـ

لا أنصح ان تَبْنيَ فوق الأعظم عرشك

الملك (يتهكم)

واذن تنصحنا ان نبنيَ هذا العرش على الرمل أم الماء؟

واحد من الحاشية :ـ 1ـ

بل أن تنبيه على العدل

لا فوق الاشلاء،

ألا تمنع من واحتك الخضراء الوارفة الظلّ

شعباً يذبل عطشا في الصحراء

الملك :

هذا رأى لا يكشف عن حزم القادة

ويخالف مرماه العادة

فالناس من الأصل

صنفان : عبيد أو سادة.

السياف :

اسأله يا مولانا :

بين الخصمين، مَن الأمضى الأعرف :

مخلوع التحكيم العَدْل

أم داهية العرب الحازم

الرافعُ في الزمن الحاسم

في وجه الاعداء المصحفْ ؟!

واحد من الحاشية :ـ 1ـ

للتاريخ مزبلة وله متحفْ

قد يبطئ في إصدار الحكم ولكنه عادل

السياف :

هذا رأى حالم

فالدول لا تُبنى بالأفكار الرخوة
بل بالمكر النافذ والسياف الصارم

واحد من الحاشية :ـ 1ـ

السيْف إذا جُرّد ظلْماً
وحشٌ شَره أعمى
يُغريه دمُ السياف متى يَظْمَا

(واحد آخر من الحاشية : على يمين الملك ..)

واحد من الحاشية :ـ 2ـ

يكفي يا مولانا حِلْما !
اصدرْ في شأنه مرسوماً
واختمْ فمَه السافلْ

واحد من الحاشية :ـ 1ـ

ولم المرسوم ؟
فالعدل متى احتكم الناس لسيف ـ معدوم
وإذا استند الحاكم للسياف
فالشرع ـ إذن ـ ورق مرقوم !
في الغابة لا يحتاج لمرسوم قاتلْ !

السياف :

لو يأذن لي مولاي
أطعمتُ الآن كلابيَ من لَحْمِ لسانه
فالسيف تململ في يمناي
منذ الحرف الأول من بهتانه

واحد من الحاشية (1)

يرهبني سيافك ـ يا مولانا ـ

فأنا مثلك يفزعني الموت
سأغور لأعماق الصمت الآنا،
في كهف الصمت
لا يملك جيشك أو سيافك سلطانا
الملك :
يا هذا طاولتَ الحضرة
وطرقتَ لها سبلا وعرة
قد أنهينا أمره
سوقوه لما يكره.
(يختفي المشهد، ويضاء الشق الأيسر من المسرح)
(الشخصان :)
الأول :
يظهر أنه من طينتنا
يخشى حبلَ الإعدام كخشيتنا
يُرعبه في كف الموت
ضعفُ الإنسان
لكنَّهُ لا يتململ للخلف
لا يسقط في هاوية الضعف
الثاني :
هذا غيثٌ يأتي في الوقت
يروى يابس أعراق النبت،
بعضُ الناس رمال جرداء ـ
وبعضهمْ أملاح الأرض
الأول :

أخشى أن يحترق الغيث بِرَمْل الصحراء
أو تذروه رياح النسيان
الحارس :
يا مولانا، يامولانا
ازْهرَ قبرُ المارقْ
كنا ألقيناه بأرض لا يطرقها طارقْ
فتنادى للقبر المنبوذون اللقطاء
والمنفيون وأبناء السجناء
طلعوا من جوف الأرض
نزلوا من كل فضاء
الملك : (بزهو)
هذا يوم حاسم
سترون إذن
كيف سنبني الدولة بالمكر وبالقوة
والسياف الصارم
لا بالأفكار الطيبة الرخوة (يضحك)
الحارس : ـ2ـ
يا مولانا، يا مولانا
جُنّ السياف !
وتَحَوّل سيفه ثعبانا
يفتك بالخدم وبالاشراف
يزحف نحو القصر الآنَ
(يفر الجميع ... ويبقى الملك وحده ...)
الملك :
ماذا ؟ أينَ رجالي ؟!. أهو الحلم؟!

صوت الحارس :ـ 2 ـ (من بعيد)

انج بنفسك يا مولانا ..

المجموعـة :

من دمنا السائل فوراً أحمرْ

امتد أمام مسيرتنا الدربُ الأخضرْ

ظهر الأفق المحجوب

وصرخنا فانقطع السّعفُ الهشّ

وكان يكبل ألسننا

ومشينا، لا يفزعنا الشبحُ المنصوب على المشجب

حتى دُسنا وجهَ الظلم الأجرب

صوت من المجموعة :

مِن جُرح عليّ

صوت ثاني :

ودماء تزهر في «أنوال»

صوت ثالث :

فاض النهر المفعم بالنسغ على الأجيال

طنجة 4 نوفمبر 1971

ولم يشرق صباح

وُلدتُ ذات صدفة في ليل ثم لم يشرق صباح
سمعتُم في قريتي يروون عن مساء
الشمسُ كانت فيه كرةً من الدماء
خيوطها سياط وضياؤها جراح
حقولنا بَدَل الزرع أعطت السيوفَ والرماح،
وبعد زمن من النزال والطعان
انكشف الغبار عن مُهدِّن الأوطان
يحوطه الحديد وعناية الرحمان
وبايع الأشراف والأعيان
وانسحب الرجال صامتين للمساجد
وسارت الأمور وفق مَرعيِ القواعد :
مُهَدِّن الأوطان في الصدارة
وتحت قدميه حاشيته المختارة :
سياف ومهرج ومادحْ
وصاحب الفضيلة مدبج النصائحْ

* * *

أقبل في لباسه مقدَّمُ الأشرافْ

يصحبه مروض الحيات والعرافْ
بسْمَل وحوقل وأضاف :
«سبحان من سخر للمختار من عباده
رقابَ خَلقه ومَكّنه من بلاده
وبعد :
ما يروقكم تسمية للفاتح»؟
تسابق المهرج والمادح :
«ندعوه بالمنصور ونخلّد انتصارَه»
«بل نسميه القاهر
يرهبه الخارجي والثائر» ..
أتى بالقول الفاصل السياف
يَدعمه الإمامُ والعراف :
يا قوم هل نسيتمْ كم فاض من أوراح
بهذه السيف الباتر
هل كنتُ إلاّ قبضة لسيدي السفاح»
فَلْيُدْعَ ـ عن جدارةٍ ـ «سَيدّنا السفاح»
ودامتْ للحاشية الأفراح!

* * *

وبعدها لم يُشرق فوق قريتي صباح

الشيخ والتميمة

أمْنعتُ في متاهة الضباب والجليد
من قبل أن ترميَني الأمواج فوق الساحل
نسيني الأميرُ في سفينة الحريم
حتى رسا السفين في جزيرة
مياهها الدموعُ وأغصانها السلاسل.
قرأتُ في جماجم الهياكل :
تُذيب النار الثلجَ والحديد
وتَصنع الرجالَ من جديد،
كلمة من قبل خطها عبدُ الكريم
حمراء في رسائل الكرامة
لما قصدتُ الشيخَ ليدعوَ لِي
بالعمر المديد
ونعمة السلامة
تركتُها على بساط الهيكل
فأوغلتُ في لحمة السديم.
من يومها كمْ مرّ تحت الجسر من مياه وتراب
تمضي حباتُ النهر لا تحلم بالايَاب

وتوغل القرونْ في الصيقع والضباب
ويْوصد التاريخ من ورائها الأبواب،
والهيكل السعيد
يمشي على القوائم المرقعة
حتى إذا الجرد في منابت البْرج أخذْ موضعَه
وأطعموه عينيْ طفلٍ ودماءَ المرضعة
وارتجفت أصابع سمينة
مبثوثة كالدود في المدينة
وامتنع الأسرى عن التجديف بالسفينة
رأى الموتور في ضياء اللهب غريمة
(إن كشّر الموتْ فلَنْ تدفعه التميمة)

الضريح والمسيرة

القطيـع :

نسعى على الأقدام ونساؤنا الحوامل
ترقدُ في أرحامها الأجنة الذوابل
ماذا ترى لنا في الغيب يا ولي الله
أهكذا جرارنا المنكوسة الأفواه
تظل عطشى، والمخاض لن يجئ ابدا
نساءَنا، وتحلم البذور في غور التراب بالندى
وفرحـــة السنابـــل ؟
وهكذا يذهب زرعنا ســـدى
يا خيبة الفؤوس والمناجل
أليس في الغيب لنا بشارة ..؟

العراف :

هل فيكمْ وجيه قوم أوسيد حارة....؟

القطيع :

ياسيدي نحن عطاش
لأنهم يقطّرون عَرَقَ السحابة

العراف :

دعوا أسرارَ الرزق للعناية

واحد من القطيع :

ياسيدي نحن جياع

والجوع لا يفهم في الرموز والإشارة

العراف :

هذا فضول منك

وأية جناية

فحكمة السماء لا يدركها الرعاع

طفل من القطيع :

يا سيدي أدركك الصباح

رأيتك بالأمس من خصاصة المفتاح

تُخفي نعال المصلين في ظل المنارة

وتُرضع الخفاش من فتيلة المصباح

العراف :

عباد الله هذه العلامة

أزِفَت القيامة

طوفوا حول الضريح

وحصنوا النوافذ أمام كل ريح

وطهروا الأسماعَ مِن كلامِه القبيح

القطيع :

أزفت القيامة؟

فليغفر الله لنا كلامه

ياسيدي تُرعبنا مساربُ الندامة

لو يسمح الضريح

تَسفح مِنْ دماءالطفل ما يسقي عظامَه

العراف :

طوفوا حول الضريح

وحصنوا النوافذ أمام كل ريح

امرأة من القطيع :

يافرحتي... الراقد المنسي في أكفانه القديمة

يَنحت من يُبوسة الصفيح

روحَه وسديمَه

يا فرحتي لن يهمس الجيران اليوم إنها عقيمة

أطفال القطيع

أزفتِ القيامة

لن يهمس الجيران اليوم :

«إنها عقيمة» !

خاتمة مطاف

أعودإليك أوتسعى إلي معذبَ الذكرى
فأهوي في المتاهة ضائعَ النفَس
كسيراً، أرعنَ التاريخ مخلوع الجناح
أحاذر لو أمس القلب تَخمد نارُه الحمرا
أحس بناره، ألقي بها عرض الرياح..!!

* * *

أعود إليك أسبّح في بحار العار
تحاصرني الجرائد في زوايا الدار
تَسّربُ من خصاصات الصباح
وتجلدني بأغصان من الزيتون والعنب
وْترقِص لي المرايا
أراني تارة في الحبل مشنوقا
وطورا أسود الخدين محروقا
وحين يغوص وجهُ الليل في الغلَس
وتغفو عين مصباحي
وأبصارُ المرايا
يعود الحلم هو الحلم في رحم النوايا

كسيحاً، قاتم النفق،
يَطيق الحلمُ أن يرقى إلى عدْن وفردوس
ولكن هل يعيد الحلم لي قدسي...!؟
سمعنا أن تعيش الناس بالأحلام والماء
نِعالُهم الترابُ،وزادهم عشب وأوراق
على أرض ينام صغارهم في حضنها الواقي
ولكن ما سمعنا أن تكون الأرض من مِزَق وأشلاء

* * *

كفاك حمامة الشاشات والورق
فرشتُ الآن درب العود بالأشواك واللهب
وجئت إليه عبر مسالك النكبات والحرق.

العودة من رحلة نحو الخلف

ياواقفا على رصيف الشارع
مِن طول ما وقفتَ تجمدتِ العظام
أورثتني جمودَ وبرودة الرخام
حتى التمستْ الدفء في الأحلام
مشيتْ من خلفك فوق الماء
تربعت الهواء
أمّلت أنْ أستردَّ الطفولة لديك
بحثتْ في عينيك
عن الزّمنِ لضائعْ
وجدت أن مايمر من مياه النهر
غير راجع
أبحرتْ من عينيك
في السفائن المثقوبة القلاع
طوّفت بموانئ الضياع
وقفتْ واستوقفتُ ألف عام
في الرحلة الكسيحة
أطلبْ من دليلك النصيحة

أجدُني أضعتُ الآنَ وجهةَ الأمام
أخاف إن خطوت يبتلعني الزحام
ماذا إذا أعادت الرياح للموانيء
بقيةَ الزوارق
تحمل مابقي من أوسمة الربان
واستقبل البحارةَ الصبيان
تلمع في أحلامهم...
نفائسُ الهدايا....
ماذا أقول بعد ما
ولى عهد الخوارق
وعرف الصبيانُ زيفَ هذه الحكايا
ماذا أقول بعدما..
أضعتُ في الرحلة نحو الخلْف
الوجهَ واللسانَ..
والعمامةَ والسيف.

المتحـــف

يا أيها المثلوجُ في المتاحفْ
يا غارقا في حلقات الحال
في عالم الغريب والمحال
يا جثةً حنَّطَها مزورُ الوثائق
بقلم ملاطف
وريشةِ المساحق
تَصبغُ بالقمح وبالزيتون حتى ساحة المشانق!
طَلبتكَ في خطفات الذِكر والمكاء
على غمامة من البخور والحناء
وفي دم الذبيحة على الضريح نازف
وسأمِ الفرسان والجياد
وحمأةِ البارود والبنادق
صدئةِ الأفواه والزناد.
وجدتُك على هوامش التاريخ واقف
تعبث بجلبابك العواصف.
واخَجْلَتا «أنوال» من دوائر الرماد
تثيرها بنادق المتاحف!

ساهرةً» حسّان «
تمسكُ بأجفانها بقية العنان
مِن بَحر الظلماتِ سوف يَخرج الحصانْ
مُفضّضَ القوائم
بِرغوة الرمال
يركبه المهديْ، ثم عسكره الزاحف ،
لكنّ جيْش طارقْ
أنهكه التجوال
فعاد بالنفائس لزوجة السلطان
وحافظِ الوثائق،
فلْتخرجي «حَسّانَ» للمزاد
بمقبض مِن فضة وعقد من تمائم
ولْيبق الحلمْ فوق الموج عائم.

في منفى أبي ذر

مااللأشجار هنا ظلٌ
والشمْس توهج دينارٍ
تُكوّى به يثربِ بالنارِ.
هذا الراحل لا يُثقل كاهلَه حِمل
لكن القلب ينوءُ بأحلام العودة
لو يدري الشارع أحلام الراحل وحده
لامتدّ على الآفاق إلى نجمة
مِن معدنها البارد لا يُستنبت دفء
لا يدفن تحت منابرها الفَيءُ
هذا المجرى يتدفق من كنز الشيطان المتوهج...
في تاج القيصر
والحرفِ المتبرج...
في صدر النبر :
رأس الحكمة
ان تستجدي رب النعمة
أوتحْدِق دور المتفرج
فالخَائف ما أثكل أمّاً

والزاهد مما عمَّر خيمة
والطاعة أصْل الملك .
طَمَّ السيلْ
وعلا الزبَد الطافي
وجه الزمن الشائه
وارث عرش القيصر أنتا
يا مستضعف هذي الأمة
أعطيك يدي
تبْرئ عَيْنَ الأكمة
تحْيي الموتى
تكشف غشَّ الآكل سُحتا
لا يَنضب مجرى القيصر لكنه ساكن
السابح فيه عن المجري تائه
والغارق في الماء الآسن
لا يُسعفه جبلٌ أوفلْك
من يشربُ بعد الآن من الورد الصافي!؟

فـي مهب الريـح

أرثي لك يا جيل البطل الخدوع
مبهور الحُلم على السُّلَّم
ستقاتل بالرمح المصدوع
والصخرةُ لا تنزف بالدم
ألقاك الرخُّ على الأحراج
فنسيت طريقك للمعراج
فلتجنِ ثمارَ اليقطين

* * *

بالأمس هوتْ بيَّ الجنحان
والليل يداعب أشباحَه
في الوادي الآكلِ أفراخه
السالبِ من عين الصبيان
أحلامَ العيد وأفراحَه
فنعيت لكم جيل الساحة
مفروز الجبهة في الطين :
رزقُ الواحد يكفي الخمسة
- ومتاع العبد لمولاه

- والله يحب عصا الشرطة !

ويضم الطفلُ بقاياه :

- أماه إذا جاء الله

إخفي نعلَيّ وغطيني !!

أنعي لكمْ جيلا آخر

مرميا في مهوى الغربة

لا نسْغ الأرض ولا تربة

مشدود العين إلى الشاشة

وطنِ البطل المصنوع

مجنون الحُلم برشاشة

لا تعرف كيفَ تميت الجوع.

أرثي لك يَا جَيْلَ البطلِ المخدوع.

كل مساء له غده

تنقّلتْ في كل المنافى،
ولم أغِب عن الوطن المسروق،
لم أفتقد أهلي .
غريب،
وان غطى الغبارْ حقائبي،
ولم تمعن الشطآنْ هاربة مني،
وانتظر الإصباح كلَّ عشية
وأحلم بالضياء في حلك الليلِ
كما يحلم العصفوْر،
في حضن دوحة
تهيمن في أدغالها شهوةْ القتل
وفاتنتي ملقى عنانها للرياح
تشْرد في الغابات،
في واسع الرمل
أقلّبْ أوراقَ الجرائدِ عَلّني
أرى وجهّها المعبودَ
أو عاشقا مثلي .

واسأل عنها الرائحين،
تُجيبُني عيونهم الخرساء
مائية اللون
تعلقْتُها منذ الغيابْ تزينت بخضرتها،
في مولد الطير واللحن

* * *

ستأتي،
فهذه عصفورة الصّبح،
تُعلن أنْ حان موعدُهُ
وهذا الشذى
المتدفق عبرَ الطريق
رسول الهوى
هي توقِدُهُ.
ستأتي،
فموعدها موعد الشمس
كلَّ صباح تُجددُهُ
ستحضر،
حتى وإنْ حاصرتْها الشّباك
على الدرب، توصدُه
كما تخرج الأقحوانــةُ،
بين ركام من الصخر
تُبعِدُهُ
ففاتِنَتي تَحفظ الوعد
كالصبح ... كل مساء له غدُهُ.

الغروب والشمس المصلوبة

«يا أهل هذي القرية الكرام
مُحْسِنُكم أتى ـ ككل عام ـ
ليفرشَ المسجد والضريح
ويملأ الأسماع بكلامه الفصيح»

* * *

تنازعت في اللوحة الألوان
داميةً تجري بها الوديان
مجنونةً الظلال كالخريف
يرتعش الرعاة في مسائه المخيف
وارتجفتْ في الليل ـ من أشباحه ـ الأوهام
قرأتُ في العيون والشفاه
الربحَ والخسارة
والغبنَ والتسليم والمرارة
معذرة إذا قلت بليدة !
معذرةً إذا قلتُ سعيدة !
أحل لغزَ السحر وطلاسم البشارة
لكن هذا الرمل لا يُلهمني عبارة.

من مهده ألهمني صبي
بفرحة شهيد وبراءة نبي :
«النهر، ما لم يَغمر الشطآن
يغمره تراب الضفتين
يصنع في مساره اللحدين والجثمان
يظل في أعماقه يموت «أوزيريس»
مجمد الأطراف في تابوته النفيس

* * *

الشمس، هذا العام،
مصلوبةٌ على رأس المنارة
ضياؤها من ذهب المحسن مستعارة
كَفَرتْ بالشمس التي ترقص للسكاري...
... عاريةً والقمرِ الوسنان ...
... يبحث عن قوارير العطور ...
في مزبلة السلطان.

آخر أعوام العقم
قصيدة ـ مسرحية

(جبال صامدة ملفوفة في اللونين الرمادي والأخضر ... في صمت العالم بما كان وما سيكون.

البطل ، رجل خصب كالأرض صامد كالجبل)

البطـــل :

أيتها الجبـــال

أرى بقايا الدمع

في أهدابك الطوال

تبكين منذ رحّل النسور

في موكب من نور.

أيتها الشوامخ الحزانى

أميطي عن سفوحك الظلاما

فإن موعد الصباح حانا

لابد أن تحن لعليائها النسور

لابد أن تفيق في أعشاشها الطيور.

أيتها الصخـــور

البارداتُ الملْمس المنظور

وفي الحشا جهنمْ تفور

تدفقي بالغضب المصهور.

أيتــــها الأمـــــواج
تجمدي جبالا من زجاج
فليس في السفن جيش «طارق»
يحمل في يمينه الكتاب
ويبدأ الكلام بالسلام
ولكنْ جيش المنهزم الحانق
يحمل وصية «فردناند»
صليبية الحرف والمداد
هاتـــف :
يا مغتربا في أحضان الوطن
لا مَن يسمع صوتَك في الأغوار
أنثر دمك عَلى الأنهار
وازْرعْه على أعلى القممِ
في أسمـــاع الزمـــنِ
فوق جنـــاح الرياح الأربعة،
أزلِ الأحجارَ المسنونة
من درب الثوار
سقَهْ وَهنَ الوهنِ
البطـــل :
يا أيتها الأرض الحبلى بالأبطـــال
طال زمان الحَمل
حتى قال العائد من ظلمات الماضي :
هذا حَمل راقد
من بعد سنين
أو ــ من يدري ــ من بعد قرون

يُبعث في القافلة الرائد.
وأجاب المسلوب الغائب
العائم في أهواء الريح :
ماذا يأتي في سنوات اليأس
غير الحَمل الكاذب
الأرض :
أنجبتُك بعد سنين العقم
أمّلتُ زوالَ الشؤم
ورجوع زمان الخصب
لكنك في عز شبابك
ترقب ميلاد الرائد والمنقذ
ما أقسى أسنان الخيبة
في قلب الأم.
(يزيح الظلام لون الخضرة عن وجه الجبل الصامد)
البطـــل :
في هذا الليل القاتم
تُرى من أي مَطلع
يأتي الصباح القادم
هاتـــف :
ترقب الصباح في عيون التائهين
والتمِسِ الشروق في ضميرك المضيء
تَظهرِ الشمس في الجهات الأربع
تضيء مناراتها طريقَ التائهين
ما جدوى أن تحترق الدمعة فوق الخد
وترقب النشور والمَعاد

(أشباح تسعى في اتجاهات مختلفة ولكنها تنشد نسداً واحداً)

المجموعـــة :

شدّدنا إلى الفجر العيون واسرعتْ
خطانا، ولكن ما استقام لنا دربْ
وطال علينا الليل، زاد ظلامُه
وأوشك يفنى من قنادلنا الزيتْ
وذكّ علينا الحصنْ إلا مدافع
تحدق في لاَ شيء، عابثها النومْ
فمن يقدح الأحجار ينفخ في الرياح
من قبل أن يغتال أنفاسّها الموتْ

البطـــل :

قنديليّ المرتعش الشعلة على الجبهة المكشوفة
أوْهَى من أن يزيح عن مساقط الأقدام
مجاهل الظلام
أضعفْ من أمواجه الكثيفة

هـــاتف :

زوّد من ماء حياتك قنديلك
يَصمدْ في وجه العاصفة الهوجاء
اغرس في قلبك آمال التعساء
تخضرّ الغابة والصحراء
تَصْمُدْ كل الجبهات
بالعرق الساخن والنبضات

المفتـــي :

(شجرة الشوك تمتص نسغ الأرض ولا تعطي إلا الألم. ضمير ميت، وشهية مفترحة)

بشرى لكم أهلّ الإســـلام

يا سكان الأكـــواخ وسكان الخيام
زُفت ذات العزة والشان
للفارس : مولانا حافظ سر الديوان،
يا شعباً يرتع في نعم الطاعة
هذا زمن النذر الموعودة
للأضرحة الحراس
يُنزع من منبته قوْلُ الوسواس
وتكبل للخلف أيادي الناس
تتوالى في أعتاب المذبح منصاعة،
أجيال ترفل في حلل الطاعة

(المجموعة تتشكل فرقين)

الفريق الأول :

يا سهم الاحقاد الطائش
يسرح في ساحات مراكش
كالطاعون الأعمى
يشرب كل دماء القرية
لا طفلاً يَرحَمُ لا أمّا
في الظلمة لا نبصر رامي
السهمَ إلى قلب الإنسان الدامي.

(حينما يحط الجراد على حقل مثمر لا يسأل أهو لأرملة أم ليتيم)

الجابـــي :

يا سُعداء الطـــــالع
الراضين بهذا الأمر الواقع
ينمو بيت المال
في أحضان الحراس

فإذا مرّ الموكب أعطوه قلوب الناس
وليشربْ دمعاً أو عرقا
سُكوا من أعينهم دينار اليوم
لا بأس إذا عميّ الأطفال
وتضخم بيت المال.

الفريق الثاني :

يا أرضا اعطينا عوضَ الحَنطة
عاما نجني فيه الغبطة
طال زمان الحزن علينا
سكن البلبل في الدوحة
ما يُرسل لحنا
جَف المنبع في الريف
وساد الصمت مشارف «أنوال»
تعِب الأطلس بالحمل من الزمن الخالي
من يُخرجُ من بطن الأرض الحبّ الراقد
يَحرق هذا التبنَ الفاسد

(تنكشف الظلمة عن مراعي خضراء وصخور تتوهج تحت الشمس)

الأرض :

يـــا أبنــــائي
ما زلتُ أوزع ألوانَ الخضرة
بين الأشجار
واقطّر نسغَ السنبل والأزهار
لكن لا مَن يُلقي الحجر الأول
يطرد عن جبهتي جراد الأجيال
يـــا أبنائـــي

ما جَفّ المنبع في ساحة أنوال
ما تَعب الأطلس،
ما نسيت تطوان
قبرا في سبتة معدوم الزوار
ما سلب الفقر بشفشاون صمود الإنسان
الراوي :
الإنسان هنا ينحت من صخر القمة داره
يدنو نحو سماء لا تحجبها عنه ستاره
تأوى عنده شمس اليوم
ويسهر في شرفته القمر
يرقب عود المهدي
فوق جناح غمامة ..
حبلى، تضع الحَمل : بنادق مشحونة ...
في الأيدي
كي يفرح في يوم قيامة
بالعدل، ويحيا الناس كأسنان المشط
هـــاتف :
حين تشب الثورة في أعماق الإنسان
سيان المدفع والمعول
من يلقي منكم في هذا الماء الراكد
حجـــرا أول،
يعطي للموج على الشطآن
لوناً أجمل،
يوقظ في أعماق البحر الحيتـــان،
هو الرائد

(يغلب اللون الأخضر على الحمل وتتوهج أكثر)

البطـــل :

دعوني أعانق وحدي تراب بلادي

دعوني إذن استحيل سحابة

ترويه كي يسترد شبابه

أقيموا التماثيل للراكبين على الموج

والسابحين مع النهر

سمو الشوارع

وهذا قميصي المدمّى

أنشروه تعاليق في كل عام

أطيلوا التفلسف في جلسات المدام

إليكمْ لحْميَ في مهرجان الكواسر

وهذي عظاميَ حتى تعافَ الكلابُ العظام

المجموعــــة :

نغالبُ منعرجاتِ الصعود إليك

وأنت كما الشمس جِدّ قريب وجِد بعيد

تخلصتَ من ثقل الطين

حين ركبت الضياء لتكشف سر محيطه

تجاوزت كل حدود الزمان

ونحن العصافير مربوطة في خيوطه

وحلقتَ حتى لمست السماء

وتغرق في البرك الآسنة.

تهب جميع الريــــاح

فيفزع روادنا لكهوف السلامة

ويبقى قميصك
تبقى الجراحُ علامة
ويبقى دويُّ النباح
دخان المباخر في حلقات الكساح
ونعرف كيف انتصرتَ
وكيف انهزمتَ
وكم من جيوش كسرتَ
ونحن شهودك يوم تقوم القيامة
صـــوت :
تَعَرّى السكوتُ الجريمة
وكان غياب الهوية
هو المطية
فصار الركوب هوية
شـــاعر :
تهز المنابرَ ريحُ الصباح النقية
وتعصف بالسجع والدعوات السقيمة
وتحت ضياء الشروق
تعود إلى الكلمات قواها القديـــمة

تطوان ، 1972

الليل والأطفال

ـ 1 ـ

مرتْ على بابي مصابيح الضحى
كمواكب الأعراس رَصعت الطريق
بالنور، أو قبسٍ من الغد قد توهج وامحي
في ظلمة القبر العميق.
والطفل فِيَّ تَفتحت عيناه في غبش الصباح
دنيا من الأحلام والألوان والنور المباح.

* * *

الطفل فِيَّ هوى إلى القاع السحيق
جَيْش من الأشباح يعبث بالغريق
وتململ الميتُ الذي ضاقت به الأكفان
من طول ما نام امَّحت من وجهه الأجفان
خطواته في الليل يرجفها دوار
فلا قرار .. فلا قرار
«يا ليت شعري كم تصَرّم من زمان
جَثم المواتُ على طفولته .. استكانَ
على المهانة طفليَّ المسحوق تحت مواطئ الأقدام
كالعلبة المُلقى بها عرضَ الطريق

عيناه في لون الغبار
تنتقلان خلال أحذية (الكبار)
في عمق ليل تسبح الديدان فيه
منهوكة الأنفاس في سحب (السجار)
والكأس عربد وارتختْ حمقاء تفخر بالكلاب
(يا ليته كلباً فيقعى جنْب حاضنة الكلاب)

* * *

الريح تزحف في الشوارع حيةً رقطاء ـــ
تنفث سمّها فوق الرصيف
والدفء حصّن نفسه بزجاجة حمراء
وانسدل الستار
وتناثرت بقع من الدم شوهّتْ وجهَ الجدار

ـ 2 ـ

أقام الليل أعواما وأعواما
على جفنيك فانسدلا
أحال الفجرَ سردابا
وهمهة القوافل في سرى النفَق
تَلوتْ في شعاب الكهف أحزانا وأوهاما
تَمْطىَ في عيون الليل والأرق
رؤى مجنونة النزوات
تنقضْ ما بنى الإصباح في عمر من الضنك
تقطع في مضايقة الأظافر
والعظام ترمدتْ في الركن أكواما.
تَجمدت الخطى في زحمة الوحل
ولاحتْ من قرار الأرض أزهار من الأمل
تهامست الغياب بها ...

الأطفال والقمر

أتذكرينَ خطوتي أيتها الساحَة
إذْ يُوقد القمرُ في يوليوزَ مصباحَه
ويَبعثُ النسيمُ بالنّرنْج، مِرواحَه..
.. حورية رشيقة الجناح سبّاحَه؟
وترقدُ السماءُ فوق الأرض مُرتاحَه
ويُعلن الليلُ أعراسه وأفراحه
يَطردُ من ملاعب الصبيان أشباحَه
حنجرةٌ جديدةُ الأوتار صداحَة :
«سَنَرْتقي الجبلَ ونلمسُ بالراحَة
خدَّ القمر، نَلثمُ الجَبْهة الوضاحَة
نغنمُ زورقه ونأسِرُ ملاحَه»

* * *

وتحتَ جُبة ليليّةٍ في لا مكان
ترتعش الأحلامُ في أسِرّة الصبيان :
عنقود العِنب الذي قد يشتهي السلطان
أسودُ كالعقوقِ والطّمعِ والنكران
مرتجفٌ، فقلبُ الأم لا يذوق الراحة

يفورْ بالدم وبالحياة والحنان.
ألعبةُ المَلاك أمْ سخريةُ الشيطان
قلب يَنْدب ــ باكياً بالدم ــ سفاحَه؟

* * *

بستاني لوْ وجدتُه وحزتُ مفتاحَه
أطْعمتُكمْ في هذه الليلة تُفاحَه.

* * *

ويَنصرفُ الصبية وتبقى في الساحَة
بقايا من طفولتي في الجوّ مُنداحَه

موتي الصغير

الصمتْ يشهق في هجوع الليل، جرحْ في القرارْ
كالسوط ولولَ في شغاف القلب يسفح بالشَّرارْ
العين، نَزَّ من الدواخل صوبها، دَمْعٌ ونارْ
فالروح تنزف قطرةً... في قطرةٍ، هو الاحتضارْ
والموتْ يغصبُ فيكِ زَنْبَقَةً على صدر النهارْ
(ياموتْ يا سفاكُ رفقا بالعصافير الصغارْ)
والبرعمِ النامي بأرض الشوكِ والدم والحجار)
أواه : ماأقسى علي غيابُ وجهك في دثار...
... القبر يَحْضُنك الترابُ، فلا تعودي منْ سفارْ

* * *

الورد توأمكِ الرضيعُ، ذَوَى على دربِ الردَى
حيران كالظل الرمي ـ بلا قرار ـ في المدي
ضَمَّتْهُ كف الأمّ فامتزجَتْ دموعٌ بالندى
وثوى بحضن الخَدّ وافترش الحريَر الأسودا
في رحلة عبر المجاهل لا يعود لها صدى.
واها علي إذا تلاثغ في القرارة ـ لي ـ غدا...
صوتٌ نَديٌّ طالما بَلَّ الهجيَر الموقدَا....
في دَربي الصادي. أفيضي منْ جنانِك مَوْردا
ألقي بهذا الحمل، أغفو في ظلالِكِ مُجْهداً

رمـــاد

أدوس .. أدوس فــوق غبــار هذا الجُــرن
.. لا حَبّ سِوى التّبن السحيـــــــــق!
أجُــول متى خـــلا من غيري الميدان !ــ
.. أسرح كالفتى البطــــــل الرشيــق !
إذا أسرجت أفراسي على سطح الرصيف ــ
.. وسرت بالخطــــــو الــرفيــــق،
تدور بي الرحـــى، أنســـاح في التيار ــ
.. يلهث في متاهـــــات الطريـــــق،
وأشــرب مـن دم الحيتــــــــــــان، ــ
.. تسعى ضالة النظرات، فاغرة الحلوق
وتَسفي الريح عبر الدرب بــــــــــاردة.
فتجمــــــــــد فيه مـــن قر عروقي.

* * *

فماذا بعــد صيحـــات السكـــــارى ــ
.. واحتضــار الكلب في الليل العميق،
ســــوى صــبــح رمــــــــادي ــ
تلصص ـ راعش الأطراف ـ من خلل الشقوق

تثاءب في بقــايــا التبــــــــــــــــغ ــ

.. يمسح دمعه بذيول أردية الشــروق،

فيطويه النهارْ. يدوس ثم يـــــــذوس ــ

.. لا حَب سوى التــبن السحـــــــــيق

ودمدمة المدى مصفرة الكلمـــــــــات ــ

تهوي من يد الــريح الصفــــــــيق

وزخـــــم من غلائـــــل غيمــــــــــة

ليلية الآفاق مُرمــــــضة الحــــروق

طنجـــة

أغنيتـــي

أغنيـتي الخـرسـاء ... يا لحنا تَهـدّل في القـرارة واحـتـمى بظلامـهـا
ضـاقتْ بقـضـبـان التـراب رؤايا واشـتـاقتْ إليك النفسُ في أحـلامـهـا
أترّاكِ في رحـم الليـالي بذرةً أم تتـرّكين الروح تحت ركـامـهـا
أغنيـتي مـوّارة بدمي وتقـصـرُ خطـوتي ويداي دون مـقـامـهـا

* * *

أبدا ـ إذا صخَب النهارُ ـ تطايرتْ نظراتك الحيـرى وترجع ما وَنى
ملحاحـة التسـآل تعـصف بالزجـاج الصـامـد الشـفـاف يفـصل بيننا
وأكـاد مـثلك استـحـيل هبـابةً لا مـاء يعـقـل خطوتي لا مـعـدنا
أوَ يصـمـد الشـبـاك إن ذَوبتُ ملحي وانصـرفتُ إليك عن كل الدنا؟

* * *

الكهف ـ ها نفـذتْ رؤايَ ـ سَـراب أحـلام وذكـرى في يد
النـزع المقيـت
فـإذا عـزفتُ، تجـاوب الوتران في لحن ضـبـابي مـلائكي الخـفـوت
من أين مـعـرفـتي، زرعت الدرب شـوكـا أم فـرشتُ طريقـه أوراقَ توت؟
إني لَيـرهبني ظلامُ الكهف في ليل الشـتـاء وغـيـمـة الصـمت المـيت.

مولـــد حـــب

في لحظة تعفو لها الأنفاسْ
والأرواح تَسرح في متاهات السما
لا شيء من دنيا التراب هناك
غير القلب، حلّق بالبراءة مفعما
كالطفل يرفل في لباس العيد
والأحلام والبشرى أمامه حُوما،
الحب يولد ها هنا، ما أروع القلب المحب
يضم جرحه مغرما.
الحب، أي بساط آمال
وأية سرحة للنسغ في عِرْقِ الظما
ماذا إذا نبتت بصدري وردةٌ
ومشيتُ أرفلُ باسماً مترنما ؟ !!
لو سار مثلي الناس ما ارتجفتْ
ضعاف الطير والعقبان ما سفكّتْ دما!
ليلايَ، ها اني أتيتُ، هَديتي
قلبٌ توشح بالبياض وأقدما
خجلان لكنْ لا تضم نفائسي
أغلى من القلب المحب وأعظما
فإذا رأيتك أو سمعتك زارني
زمنُ الربيع منوراً ومنغما
وركبتُ شلال الضياء تطايرت
حبات روحي إذ تَمَاوّج وارتمى.

أبريل 1967 ـ طنجة

فِرْدَوْس

فِردوسْ يا باقة الضياء
يا فرحة العصفور بالصبح،
يا طفولـــة الورد
بُنيتي، يافراشة السلام،
أجِلّ سمعَك الغضّ عن حكاية عندي
عيناك نافذتان
من خلالهما
أرى الوجود بريئا خالص الود
أرى الضياء يعم الأرض
يغسل أنفساً معذبة
عمياء بالحقد
أودُّ لو عشتُ بالحلم الجميل
أراه ما حييتُ، واستعيده وحدي
لولا قوافل قطعان
توارثها ذئبٌ عن الذئبِ
منذ سالف العهد
تئن من لسعة السياط
من قسوة الرعاة

في دربها المغبر الممتد
أنينها في عشايا الحزن
يفزع طائر الرؤى
ويثير كامنَ الوَجد
يعود بي من سماء الحلم منكسرَ الجناح
فوق صخور العالم الصلد
الشعر والحب أحلام المجانين — فيه —
والسلام سراب دائم البعد.

كلمــة في ودَاع طه حسين

آن لهذا الواقف للريح ـ
المشحونة بالأشواك
كالصخرة في وجه التيار ..
المتدفقِ من جوف الليل الغافي
آن لهذا السابح نحو النبع الصافي
أن يُبحر في رحلته الأبدية
عبْر الرؤيا والأشياء

* * *

كم تاهتْ في بطن الكهف المظلم ..
قافلةٌ ومسيرة ...
ويَسير الموكبُ خلفك نحو الشمس ..
وعيْن القلبِ بصيرة ..
حين وضعتَ الاستفهام المسنونَ ..
أمام العُلب المتهرئة البَلْهاء
عصفتْ من سرداب المتحف ريح حمقاء
وارتجفتْ في الليل البومْ
نَضَبَ القــــلم

بـــاب الرأى ــ إذن ــ مختوم
تأبى عينُ الوسنان النور
وخفافيش الليل العمياء
تفقأ ــ لو تقدر ــ عين الشمس
لا تستخرج رأيا من جمجمة شبِعَتْ موتا
إلا بالنبـــش ..

* * *

حين وضعتَ الاستفهام المسنون
كنت تَشد عنان الزمن الهارب
نحو الماضي المدفون،
والطاووس النائم فوق سرير الريش
يلتفت إلى الألوان المتموجة الجوفاء
ــ ملعون من يحفر تحت الزخرف من ريشاتي
أعْرى من ريشي لو افتحُ نافذةً للآتي.
لكن الكلمات المنحوتة من بؤس الإنسان
تتفجر في بغداد وفي البيضاء وفي وهران
شهُباً توقد من عين الشمس
ومعالم في درب السائر نحو النور وعين القلب بصيرة

* * *

مثلك ــ طه ــ من يتحدى قاهر هذا الإنسان
يقوى موتك أن يغتصب النبضة من قلبك ــ
والبسمـــة من شفتيـــك ..
ولكن تقصر أستاره أن تحجبك عن الأزمـــان.

تطوان في 1973/12/8

بحر بلا أمـــواج

تظل تجرُّ خلْف خطاكَ شمسَ اليوم .. تستجدى
سماءً ما بها ماء ولا سحب
وتلثم بابَها الفضى .. ترتقب
ربيعاً طالما شحّتْ به الحُجب.
وتمسي ــ كي يحط الليل حملك فارغا عندي ــ
ببعض من خيوط الشمس تنسجها فتنسيني،
وتروي ــ إذْ يكفن عشنا الطينى
غشاء المحْل والسهـــد ــ
حكايا عن «أبي زيد»
وترقى صهوة الدخان والحلم
إلى فردوسك العُلوي
ويبقى الجوعُ بين صغارنا يعوي
وينهش أعظما تذوي
بلا قبر ولا كفَن.

* * *

ويصمت .. تستحيلُ دماؤه دمعا
فينتحب.

(أيبكي كالصغير أب؟)

تفجر في القرارة منه سيل وجوده المسفوح

فتقْطر مثلما انصهر النحاس حشاشةٌ من روح

تسيل على الشفاه جنائزا :

ــ الدمع لا يُجــــدي.

ولكنْ هل أُدير الشمسَ ..

أعصر زيتَها وحـــدي؟!

وخصري في السلاسل والعروق تذوب في القيد

يصول صريرُه المبحوح

يَهْجَع كلُّ ما في البحر ..

أين الموج والصخب

يبث الغيمَ سِرَّ الخِصب والمرعــــى؟

الانتظــــار

كما الأوراقْ ـ نام الظل والقمر
بأعينها وعانق حلمَه السحَر
فتعوي الريــح،
فالأشجار رعشاتُ المناديل
ترِفّ بها عظام الغصن فزّع دفئَها القرُّ
تشيّع (ما أعز الروح!) برعمَها فيبكي الطين والشجر
ويَصبغ بالأسى المجروح ترجيعَ المواويل ــ
أراك.
فتعْول الثاراتُ في روحي.
وتغرق في دماء الجرح ريشاتي وألواحي
ويزحف في الظلال السود إزميلي
وترعد تحت صيحاتي المنابر ...
« يا لأشباه الرجال»!
يغيب بها المدى
لا شيء غير الريح رَدَّ لها صدى
وتكاد أرضُك أن تعري ما كَسَا الموتْ
ويصحو الدهر »ها قد عاد تومرت

ورفرفت البرانص «إيه خضراء الظلال
أظلي ربعنا يا نار طارق مزّقي السفنا
لعل سفينة القرصان مما يحمل البحر
فإن جيوشنا المهزومة الأحلام، تزرع حولها الوهنا
صلاة الكاهن المأجور في ضوء الهلال
تباركها المباخر، وانجلى السّحــر
فمالَ القائد المفتون أسلم طرفه الوسنا

* * *

جبالي، وارتمى من قلب (أنوال)
صراخ المنبر العالي
ودمدمت الرياح صدى جراحات، وموال
لوى أنفاسه الزمــــن
فدب على المقالع دامي الخطوات، عاف مقامه السكن
وغمغم : «يا سماء أكفُنا ضمت على الريح.
لأن صغارنا ولدوا يتامى واستووا جسما بلا روح
وحتى أرضنا قد غاض في أعماقها النبع
ويَزفر دربنا دوامة العطش المرير
فلا ماء ولا زرع
ولا لمْحٌ ينير الليل من سيف (الأمير)
فأين عصاك يا رب الجبـــال»؟

* * *

يكاد يهيب بالأرواح مَنْسي القبور
ويسعى موكب الأموات يخفق فوقه الكفن
ولكن العصى يقتات من أحشائها الوهـنْ
فلَنْ تسعى أمامكَ ترهب الكهان من هول المصير

* * *

على القمات ــ يا ظمأ الصحاري ــ تعصر السحب الحبالى
شهيّ مدامها، وهناك ــ رغم الليل ــ صبحك قد تعالى
فغطي موقع الأقدام بالظل المدمى
فلن تحيى السلاسل ما ثوت في الطين تصدأ إن توالى
عليها الترب عاما ثم عاما
ومهما حام بالسفح الممهد ركبك المكدود
تمتد السلاسل كالأفاعي تزفر السم الزؤاما
ومهما سال من دمع اليتامى
وساق الريح همهمة التهاليل :
ــ «أ (ماطا) رحمة الله!
مددنا لوحَنا ذابت عليه الروح، نادينا بأفواه
تحجر من نداها الملح
غوصي ماء ساقيةٍ
إلى أعماق دالية
ينام المحل في شريانها الواهي
أ (ماطا) رحمة الله» ــ
فهذه أرضك المحروقة الوادي عليها المحل يستعر
وربُّ الخصب لن يحيا بغير الرعد يقصف ثم ينهمر
على تابوته المطر.

1966/8/13

رســـــالة سـجيـــن

تُرى يا إخوتي ماذا .. عن المستهتر العاتي؟
عن الطفل الذي يلهو بدمعي وارتعاشاتي؟!
عن الغول الذي يقتات من ذاتي؟!
تـــرى ماذا؟ ..
أيغتال الضياء، ويخنق النورا؟!
ويملأ حقلنا النامي كآبات؟!

* * *

أنا إخوتي خلف الجدار الشاهق الصامد
أرى التّنين في السجان.. في عينيه.. حول حذائه المارد!!
إلاهًا يمقتُ الفجر!
ويهوى الليل ملء ظلامه السائد!
ويطرب للدمى تجثو... تبيع ولاءها البارد

* * *

هنا إخوتي (في السجن) ليس كسجننا الواسع!
فما في السوق أمداحٌ تباع.. ولاهنا راكع
رفاقي يصنعون حياتنا المثلى
ولايثنون بالأعتاب هامات

رفاقي يمقتون الجبهة السفلى
مصابيح السلام تنير درب الموكب الرائع

* * *

غدا يا إخوتي سيعود إنساني
غدا سيغرد الشحرور من ثاني
وينحسر الظلام بغوله الفاني
ويزخر بالحياة وبالمحبة كل شريان.

1963

مدينتي

مدينتي جديلة من الحرير الأخضر
محاكة من زرقة السماء والعود الطري
جزيرة تعوم في ضباب سحر عبقر
حمامة في قعر عش
شادت منه قبرها،
وكلْبٌ ربّها الثرى
كالأفعوان الأصفر
يمتص روحَ زغبها
يحصى إرتعاش قلبها
فأودعت ظلام الليل دمعها وسرها،
فعودها هزيمة والزحف حيرة العمى
رنّت إلى ملاعب الظلام في قلب السما
هناك أدرْع السنا
تضم سرا مبهما
وبالمغيب الأغبر
سحابةٌ على الدنا تمد ظلا مظلما.
عكاظ يا مدينتي والمنبع الغزير

شلال عطر راقص في وقدة الهجير
لكن ربك الثرى
في برجه الوثير
لا ينتشي لنوح ناي أو بكاء مزمر
ويستعيض عن صفاء روح أوقلب برى
بمخلب ومنقر
وعازف حقير
يلتف حول عوده في مأتم الضمير

1964

نـــار ونـــور

هي الهواجس والظلامْ ووحشة الليل الرهيب
والحجرةْ البكماء يخدش صمَتها رجعْ النحيب
عينان يمتص الظلامْ ضياهما أمل يخيب
الجارْ نام وأطفأ المصباح.. سامرها الكئيب..
وتدفَقتْ عبراتها حَرّى كسياط اللهيب
«أواه ..واكبداه..أين تراك ياولدي الحبيب
* * *
وهناك خلف شواهق الجدران في ذل الرغام
حيث السياط عوتْ وحيث يزمجر الظلم الحرام
كانت بقايا للحياة تئن في حلك الظلام :
«أماه يا طهر الصلاة وألف بند للسلام
جسدي إذا ما كبلوه، فما لروحينا انفصام
هذا فتاك الحر، لا تبكيه، قد نال المرام»
* * *
وتهللت قسمات وجه باسم تَرِب الجبين
واهتزت الشفتان تتلوا آية الحب المكين :
«وطني فداؤك مهجتي ودمي وما ملك اليمينِ
لو كان لي روحان جُدتْ وما أنا بهما ضنين،
وطني سلمتَ فإن شعبيَ لن يُسلم لنْ يلين»،
،، وتلاشت الكلمات .. وانحسرت عن الصمت الحزين.

1963

العـــــار

أنا هنا يا رفيق الدرب يا حلمي
رؤى ممزقة يلفها العارْ
فغيمة من غبار الغدر تخنقني
والأفق حيث بسطتُ الطرف إعصار
والكوخ مأوايَ ما درّتْ بعتمته
شمسٌ ولا بسمت بالباب أزهار
وحوليّ الليل شاخت الدهور وما
لاحت بمفرقه للفجر أنوار
ومن بعيد وراء الغاب محرقةٌ
وزيّتها من دماء إخوةٍ ثاروا
تنمو فتَلْتَهِم الغيومَ جذوتُها
وتسكنُ الروحَ أحزانٌ وأكدارْ
ويبسط الزيفُ حالك الرداء
وتحضن الخُفاشَ مسارب وأوكار.
حكاية الغول أحلام مجنحة
يهيم فيها أبي ويّذهل الجار
حتى يُعصّبَ رائقَ الكرى مقلاً

يُميت شعلتَها لتخمدَ النارْ
والقيد يغصب رونقَ الحياة بتربتي ـــ
.. يشوهُها .. والسيف غَدار
والأرض ؟!ـــ يا لفداحة المصاب ـــ
إلاهةُ النماء : بضاعة وتجار
جَحافِلُ الجذب تُجهض الحياة ـــ
وتلطغ الدماء .. يقود غزوها الثار.

1964

توقيع بالأسود على الصفحة الأخيرة

ـ إني أحمل نفسي جثة
هامدةً، لا قبر أواريها
لو ألقيها بذرة
لن تعطيَ في هذي التربة
غير الرغوة
لكني أكون مع التاريخ على خير وفاق
في الماضي كنت أظن الزمن يسير أماما
فإذا هو يتململ
لكنه لا يخطو خطوة،
والليل الممتد الحالك
اطفأ كلَّ نجومه
دجَّن أمواج البحر
ونام على صدر الجبل الجامد
حتى لا يحلم عصفورٌ بالصبح
ـ كم يتبارى الخصمان : الظلمة والضياء
تسْوَدُّ الظلمة حتى ما يسلك فيها سالك
لكن العصفور المتدفئ بالحلم الصادق

يتغنى في حلمه بالفجر.
ـ أن ينقطعَ المدد وتبقى معزولا في الصحراء
بلا ماء وبلا صاحب،
فتصيح :(أنا مهزوم)
لا توصف بالهرّب وبالجبن.
إني ميت منذ فقدت سلاحي
وطريقي ورفاقي
حين انطلقتْ أولى صيحات الحرب
وتبخر من يدي السيفُ ـ الحلمُ
وتجمد تحتي فرسي كومة ثلْج
ليست للكر ولا للفر.
يَحمل كلُ المنهزمين خرائط
تفضي الأولى لليأس
والثانية لأعماق الحبس
ويسد طريق الثالثة الحائط.
ـ أرض الزنزانة لا تنبت يأسا
والحائط يهوي إن مسا
فاليأس إذن يتفرع من قلب فارغ.
في البحر الصاخب لا تصمت موجة
حتى تلقي بالعمر إلى الصخر المتوحش
في الشاطئ،
في الريح العاصف لا تخمد نسمة
أو تتلاشى في هاوية الكون الصامت.

أبريل 1973.

2 ـ الحلم في زمن الوهم

1992

1 ـ الحلـــم

الحلم في زمن الوهم

أراوذ منطلقَ الحُلم
أم أستعيد
ملاَمحَ حُلم بعيد
أقولُ لصاحبتيَ
والمتاهة تَبْديء في كل منعطف
وتُعيد :
سأحلُم في زمن الوَهم
كي أتجَاوزَ مستنقعات الغباء
وفي النَّفق المُلتَوي العنيد
سأحفر متَّسعاً للضياء
فهل تُنكر العينُ لمعة ضوء
تلُوحُ على شُرفة الأنْبياء.

أبريل 1987

مَوكبُ القَصيدَة

سقَطَتْ قطرةٌ من الزَّمن الراحل

في هوة المكان المُقيم

وامّحَتْ خطوةٌ عن الرَّمل

واندَاحتْ على إثرها رياحُ المساء

وَرَسَا زورقٌ على هذه الضفة ـ يا بحرُ ـ

واختفى بعدَ حين.

أيها البحر هل رأيْتَ شراعا

مُبْحراً في مِسلّةِ الكلمات

باعثاً حُلْمه إلى الضفّة البِكْر

مع النَّورس الخَفيف الجنَاح

هو ذا موكبُ القَصيدة

في رحلةِ كشْفِ عن الزمان المقيم.

أبريل 1987

طُفُولةُ السمَاء

تبتعدُ الأشياءُ عن أسمائِها
تحومُ في سمائها
أتيهُ في تقاطُع الزمان والمكان
أبحَثُ عن هُنيهةٍ من حاضرٍ مغاور
لعلّني أمْسك هذا «الآن»
يفْلِتُ من أصابعي السراب.
ما العُمر إلا شبحٌ من الزمن العابر

* * *

أسترجع الحِكاية
ينزلُ المطرُ على النوافذ العمياء
وتلمعُ الرتابةُ الملساء
على فضاء القِرمد البُنّيّ
ينْسحبُ النهارُ من أزقة المدينة
وينْحَت «الفقيه» من أحزانه الدفينَة
ملامحَ الصلصال وظلاله العميقة
تستنزف الحناجرُ الفتيَّة
بقيَّة «الفلق» بعتبة العشيّة

وأشتهي الخروجَ من سحابة
البنيّ والرمادي الكثيفة
أسعى إلى دواخلي
أصنّع منها ساحةً فسيحة
وقطراتُ المطر الرتيبة
لـمّا تزلْ تحطُّ بالنوافذِ العمياء
ترتعش البيوتُ
إذ يمرُّ بجوارها المساء
على شَفَة امرأة مَشوقة
وأغنيات حبٍّ وحكاية مغمورة
عن طائر الغيابِ
يظهَر ويضيعُ في المتاهة القريبة.

فبراير 1987

تَســـاؤل

يحاورك اليوم حَيُّ بنْ يقظان
يأتيكَ ملْتبساً بالتساؤل
يُحيللك إيلافُ هذا الدَّوار
على نَصُبٍ للإجابة رهنَ التَّناول
وتدخل في اليقظة/الحُلم
إنَّ الغشاوة ثوبٌ من الرمْل
يحجب محارةً غرقَتْ ذاتَ يوم
بما حملَتْهُ سفينة نوح.
تُهيب بعيْن الطفولة
هل تستعيدُ البصيرةُ دهشَتَها
وتعودُ إلى لحظة البَدْء
إذ أيقظَتْ شهوةُ الموتِ
هذا التسلسلَ
صار الذي يتوارى
يراوح ـ بين الفضائين ـ موقعَه
بين مهْدٍ ولحْد
يُلحُّ التساؤلْ

لماذا تغوص اللآئ في الصمت
فيمَ تَغَيّر وجهُ السماوات
حين نتاثر من جيدِها مهرجانُ النجوم
وماذا يقول الصّدى
إذْ يُحاوره الصمتُ
كيف يَمُدُّ الظلامُ عباءَتَه
ويُصادرُ مملكةَ اللون.
علّ العصافيرَ حين تُهاجرْ
تَبوح لها القَطَراتُ البشائرْ
بموقع عاصمة اللّون
حيث تُخبئُ أثوابها في الخريف الزهور.

دجنبر 1986

ذاكرَةُ المـــاء

(إِلى أمينة ب)

ينفض الماءُ عن وجهه
قطرات الغبار
يتخبّط في يد نافورة
تستطيلُ عليها الظلال
نَسيَتْها الجداولُ في حلْقة
لتراوح دورتَها
في صقيع الجُحودِ
وصَمْت الظّلال
حاصرتْها الحُشاشة
في قفص من رُخام
خرجتْ من حصارها آمنة
حوّمتْ كالسحاب مهاجرة
نثرَتْ نُدفاً من نصاعتِها
فوق وجه الجداول
وانتظرتْ زمنَ الإنجذاب
وأسرّتْ لعاشِقها
والمسافة بينهما غابة من حديد

انتظرْني على ضفَّة الزمن المتجمِّد
حتى تَعُودَ إلى الماء
ذاكرةُ النهر
حتى أزفَّ إليكَ على شهوة
الماء منفلتاً من قيود الجليد.

13 دجنبر 1986

القَصيـــدة

لمحتكِ في سكرات الصبا
وخلال ضباب الطفولة
مكسوةً بالبراءة
وحين اقتربتُ
رأيتكِ في حُلّة الغُنْج
يستْملح الأمراءُ بسالِفِك
المستباح
تجْرين في الزمن المُتهافتِ
قيْد الزخارف
متعبةً ومهينة
تصبين في القدح المُتواتر
قافية مستكينة
هجرتُكِ للغضبِ المُر
آثرتُ أن أنتمي لقصائد
تولد كل صباح
وحين لقيتُك
عاريةً وعصية

تَبعّتك بالنفس المتلاحق
والنبضات الشقية
تمادت يدي
لتشدّ سوالفك الزئبقية
تساءلتْ بين حدود الغِواية
والرُّشد
أين ـ متى انْخطفت قدماي
إلى ضفة الحلم
إذ تستعير القصيدةُ كاتبَها
لتسافر في الزمن المتمرد
سائبةً وفريدة
وقلتْ أطيلي الغيابَ إذا شئتِ
ليس وراء شرودكِ إلاّ الشرود
لعلّ انتظارك فاتحة للوجود

غشت 1986

الإنســـان

أرحل عبر زمن الضياء
بين عَوالم الاسْم
وجَسد الأشياء
أجدُ في مملكة الأسماء
ماهيةً غريبة
بعيدةً قريبة
تُلامس الأشياءْ
تمنحُها الحروفَ والحدود
تختارها من السَّديم الغفْل
تضعها في دورة الوجود
وتنتقي من عالم الأسْماء
كلمةً وحشية
جنية إنْسية
تنحتها من حَجَر الكهوف
ولذائن البنيان
وترسُم العنوان
«هنا بقايا خَطوات
سارها إنسان».

غشت 1986

2 ـ قصائد سائبة

قصائد سَائبة

أنتَ كل صباح ميناءَ انتظار
علَّ وجه الحبيبة ينقر بابَك
أو يتطفَّلْ دون استشارة
تتوسم في وجه كلّ وصول بشارة
أنت حين يجنّ الظلام عبور
نحو كل الضفاف البعيدة
غير أن السفينة من رغوة
تتكسر عند الصخور العنيدة.

* * *

أبدا هذا الأرض دائرة
والزمان يهاجر مختلسا
غفوة الفجر
لكن فاتنتي يتفجر فيها الجمال
إسألوا الواقفين على الثلج
والرّاحلين وراء القوافل...
إذ تعْول الريح في عين فاتنتي
وتغيب الزوارق

لآموتَ بعد اللقاء
اهدموا الشطَّ
وليغْمر البحرْ كل الغياب
حينما يتمدد بيني وبينها بحرٌ
تكون هي البحر،
إذ يتكثف بيني وبينها غابْ
تكون هي الشمس
ساكنة قلب كُلّ الرياح

* * *

يتّنقّل وَجْه المدينة بين سُبات وصَحْو
وتسيتقظ النار مُلتّاعة
ويكون السبيلُ إليكِ علي الجمر
ها زَمنُ الحلم يهرب منّي
وتلتجئين إلى القلب
ارجعي لسمائِك إن لم تكوني من الأرض
أو فانبتي نخلة
أو أضيئي طريقي إليك
إذا كنت محارة في ظلام المحيط
حيثما أتوجه ألق خطاك
على ساحة الإغتيال
ووجه الحبيبة
وفي الأغنيات التي تَتَرَدّدْ
بينَ دهاليز سجن
وفي قهقهات الطفولة .

الهجرة إلى الشمس

أنظرتكمْ حتي يَيْبَس في قبر الشهداءالدم
حتى تزهر فوق الحَجَر الدفلى
ويراوِد زوجاتِ القتلى
وغدْ الحَي وأعيانْ القوم
والآن ترون البذرة تتحجر في رَحِم الحبلى
والنهر يحيد عن المجري
متخذا وجهته الأخري
وتقيمون صلاة الغائب همسا
في الحُجَر المفروشة
تعْمرها أحلامْ الطوفان
لكن الحالم يَبني الفلك بعَظم الإنسان
كي يطْفو أزمانا أوْ يُرسو في القمة

* * *

يَعجِزْ هذا الحلف الفاجر بين الكاهن والشيطان
أن يوصد دونكم الأبواب
يامن يتَحَدّوْن ظلام الأصلاب
اصْطَعنوني عَيْنا ترقب آتيكم

إني أتقدمكم في هذا النفق الموحش
آنس نارا توقد في الأرحام
لكني لن أغفر إن بهرتكم مرآة الشيطان
تعكس ضوء النار القدسية للخلف
فتولّون الأدبار.
الضوءُ المنعكسُ على المرآة شروقٌ زائف
والعصفور الصامتُ خائف
والدرْبُ الواصلُ للمدُن المحفوظة للسائح
لا يُوصل إلاَّ للعين الحمئة حيث غروب الشمس
وحيثُ الزمن الميت
والسّعي إلى الشمس ضرامٌ في الجبهة والصدر
وكشف للجُزر المجهولة.

دجنبر 1974

الفارس المغترب

يا أيتها المدن الخارجة من الأعماق
المختومة بالصدإ وبالصمت التوّاق
يغترب الفارسُ في أحشائك
إلاّ عنْ صوْته في البئرِ
إلاّ عن وجهه في أزمنة الصفر
يمشي فوق حراب الخَفَر
وتحت عيون الحراس
يبدو في كل عيون الناس
في أزهار الدفلى
تنبت من أجساد القتلى
يسأله الحارس : من أنت؟
ـ أنا الباحث عن زمن
يتبين فيه الحبّ من الأوهام
يرحل فيه الكابوس عن الأحلام
زمنِ الفرح الخالص.
ـ غطّى الغضبُ جبينَك
حتى لا تُبصره في ألوان الطاووس.

يقف الطاووس على باب المدن الصدئة
يتجاوب صوته بين منابرها وخرائبها
يأتي صوته
يرتدّ صدى
يتكسر تحت نوافذ منطفئة
ينشر الطاووس ريشه مدّ اليَبس
فتجف الرياح... تقوّض كل الغياب مضاربها
ويكون المخاض
ظلمةُ القبر أو زُرقة البحر
كلٌّ، عدا الموت قبل الولادة

* * *

هاهو يُولد في موسم الريح
في زمن البُرعم المتوحد بالحُلم
والحب حتى العبادة
يعشق المطر المترفّق بالطين
والأغنيات الحزينة
يترقب صدق النبوءة
إذ ينبض الحبُّ في قلب كل صبايا المدينة.

دجنبر 1976

المغتــرب

أيها الوطن المتأرجح بين الهزيمة والظفرِ
صدِأتْ كلماتيَ فيك وماتتْ على الوتر
وتثاءبَ كل المغنين في ليلة السمر
إن كل رياحك تعصف ضد الفرح
منذ أن سكنتك الشياطين
وانتشرت كعيون الجواسيس فيك الحفر
وتعلقت الجثث المستغيثة
في أفق الشّره البشرى
ليتني أحمل الفرح الوثني
لأنْحت تمثالك المنتظر

* * *

مَن لمغتربٍ بديارك حين تدور الرحى
يتساءل دُونَ صدى
وتمر القبائل ساعية للغنيمة عبر طريق النجاة
كيف يقرأ ما في الضمائر
ماذا تقول العيون التي تتشبث بالنوم
رغم انبلاج الضحى

كلهم غرباء

وما للسفينة من هدف

إنها في مراسي الهزيمة حائرة

والرياح مجنحة فوق كل الملاع

أبحرتْ في طريق الضياع

وإذا بالربابين ينكشفون قراصنة

والسفينة بعض متاع

* * *

شبّع الصبر أعصره الذهبية

أزهر في ظلها الفقر والأمل المستكين

وزمان البطولة والفتح

يغرب نحو الزمان الخرافي

وحروف البكارة والعشق لا تنمحي

من دم الشعراء

والغد المتمنع يرقب قافلة

تتحدى المفازة بين الدجى والضياء.

غشت 1979

وصلتني رسائلكم

(إلى معتقلي الرأي)

تأتي من كل الآفاق
رسائلكم،
أقرأهاملهوفا
موقوفا
حتى إشعارٍ آتٍ
مشجونا حتى الأعماق
سهر اليقظة في أصواتكم
يمشي بين الناس دماً مسفوحا
لحما مفروشا في ردهات السجن.
تأتي الكلمات،
من ذاكرة الزمن الأولى
من رحِم الأيام الحبلى
قالت نافذة في الكهف :
مرَّ الضوء
وخلّف في عين السجان رمادا
يمتد إلى الأحياء الخليفة

أوتاراً تنبض عين النبض
وتحكي عن رجل في مقتبل العمر
يَهدي للأطفال وللأيام سَلاما

* * *

يروي الراوي ـ الكلمات ضياء ـ
عن رجل يصرخ في حي الفقراء
يا معشر أهل الحي
أسيخوا السمعْ
للكلمات المنحوتة في جدران السجن
للصوت الهادر في أعماق الأرض
للعرَقَ المتدفق من قاعدة الهَرم البشري
لو كنتُ أقول الحق
لملأتْ من الكلمات المنحوتة في جدران السجن
كل جناح حمام الأرض
أصمْتُ تحت الشمس المجروحة
لكن هديرَ الكلمات المنحوتة
في جدران السجن يفور
تجري الأعين بالدمع
وتذكي النار القدسية في عين الأطفال
حلمَ الآتي
كبذور تتوهج في رحِم الأرض
تنبت في أحضان الحجر العاتي
ها أنتم تجتمعون على الجثة

تتْلون على الهالك آية
وتخطُّون على الجمجمة وشاية
ينفرد الهالك في القبر
أو الزنزانة
وتُدوّن في وجه الزمن خيانة.

دجنبر 1978

أحبك قاسية

هاهي سوْرة حبك تنتابني
وطيور الهواجس تفزع من كل ناحية
وأعوذ إلى المهد، أبْدأ قافلة العمر
أفتحُ ذاكرة الزمن المتجدد
ثمة ألقاك ثانية
ويكون عناق المسافات جمراً
على أعين العسس الجامدة.
أختلي بك، أنتِ فريسة ظلم ذويك،
فمن ذا ينازعني فيك،
قالت أضرّ بك الحب،
قلت ألآ، فلينازعني فيك الوشاة
ويومئذ تتهامس سود الثلوج
وبيض الليالي،
وتأتين من غُرة الفجر فاتنة
ويرى أدْعياءُ المحبة أنكِ غالية
ويرى الشهداءُ المحبون أنك قاسية
وتجودين بالحب عند لقاء الحياتيْن والثقليْنِ
أرى معزاتك في في وطن الأوفياء العجائز والنبهاء الصغار.

امنحيهم سعادة أن يعْمروا هذه الأرض..
بعد رسْوِ السفينةِ،
أن يهدموا الهرم البشري
وسجنَ المدينه،
إن آية حبّكِ
أن يبصروا داخل العار خيطَ المسرة

* * *

هاأنت تأتين صامتة
والزمان جديدٌ،
وترجف من رجعة النور
عين الوشاة.
عليك المواثيق أن تسكني الأرض
باسم الثمار التي غطتِ الزهر
كي ينزل الماء من ظلمة الثلج
نحو قرارة أصل السنابل،
وأعود إلى المهد،
أفتح ذاكرة الزمن المتجدد
باسم الرؤوس التي أينعت والجبين المعلق في الشمس
أحفظ صورة كل الذين مضوا
والذين سيأتون من كل ناحية
ويقولون للغد كن...
فيكون.

2 غشت 1977

أنت في الزمن المتجدد

إلى عمر بن جلون

كانت المدن المستغيثة
تهمس ملءَ حناجرها
والشوارعُ تلبس
جلدَ الأفاعي راغمة
والمآذن شاهدة
والمساء يُطل على الأرض
حين أتيت
كان الغبار على كوة السجن
فوق جباه الرجال
يصدّون وجهته ويموتون،
كنتُ أحلّق نحوك
أسبح في الضوء دون نهاية
وتلمستُ في دمك المتوهج
جسمَ الحياة
وأجنحةَ الأمل المتبصر،
ما تحمل الكلماتُ
إذا قلتُ ، نهرٌ يُغطونه
فيموج على البرَك النائمة

حتى يعانِق في البحر كل الأحبة
إذ يُقسِم الشهمُ بالشهم
حتى النهاية،
إنا رأيناك منذ البداية
في قلب قطرة دم
في عين كل شرارة
في كل موت وكل حياة.
أنت تسْكن في الزمن المتجدد
والكلمات التي لم تُقل
ونشيّدْ بالزمن المتشابه
شيخوخةً سَيِّمَةً.
كان الصباحُ على ثقة
بوعود الظلام
وكان ارتياحك غِبَّ الجريمة
كالحب عند حدود الطفولة،
لكن جِلد المدينة لن يتبدل
ما التقتِ العين بالعين
يملأها الدمعُ
والحسرة العاجزيْن.
نحن في عهد ما قبْل
كشْف الشرارة
لكنّها متوهجةٌ
في عيون «سهام»(*)

(*) سهام ، طفلة الشهيد.

موت في الهجيرة

(تعزية ليست رسمية للعمال المغاربة المغتربين)

موصَدة كلُّ الأبواب إليك
خائفةٌ فيك الأحلام
مهاجرةٌ في عمر الزهر
ذَهبٌ سنبلك الأشقر
لكنه لا يُغْني من فقر
قاسيةٌ فيك الغربة
يا وطني
وحملتُك في المهجر لوناً
وجوازَ سَفَر،
أنت على البعد شمس
تكاد تذر فتخجل
واعدة بنهار المحبين محْض،
وَدِدْتُ لو أن المنافي
ما اعتصرتْ عرقي
لأرشّه طلاًّ على كتفيك
وآتي من الجُزر المستحيلة

بالسنبل الغض
خبزا لكل الجياع
وقبْلةً حب على كل خد
وحرْزاً من الفقر
والترف الطائفي،
ترقبتُ منذ الزمان الضبابي
أن يحرق الذهبُ المتوهج
كل الجباه الذليلة..
فانصهرتْ جبهتي متطلعة..
نحو شمس الصَّباح البعيدة،
بعضَ الطريق قطعتُه
مستأنساً بالحديث المبشر،
كان احمرار الغروب
يحيل البحار دَماً
والزهور البريئة عيْناً،
فمن يشْتَك الظلمَ
أو يرتكبْ نزوةَ الحُلم
تُلقِ الرياح به للصخورِ..
بلا كفَن أو طقوس جنازة.
وتنطفئ الأعين المستغيثة
تحت الغبار
وتبقى المناديل ذابلةً
بين أيدي النساء

على الطرقات التي تمحي في الضباب
كما وُلدت في الضباب،
رياح الهجيرة لم تُبق للخطوات
على الرمل من أثر
غير خيط من الدم
يمتد بين المنافي
وأرض الوطن.

غشت 1975

المنسحبون إلى الظل

حين ينام البحر
تحت صخور الجبل الصارم
تتهامس أمواجه قبل مجيء الفجر :
ـ مِن هذا الركن
أبْصر في الطرقات الخلفية
أشباحا ليلية
تنسج من فضلات اللغة العربية
شركاً للكلمات المنحوتة من أمل الإنسان
أسْمع عن شر تحمله الأنهار
إلى الأمواج التحتية .
تنقله الأسماك الضوئية
حين تعود الريح محملة بالشوك وبالنعماء
وتُطل من الأرض عيون حمراء
ويُكَسّر صياذو الأنهار البرية والبحرية
قصباتهم المنهوكة كلَّ مساء
وتدق القبضاتُ المشدودة وجهَ الريح
تهجر أسماكُ البحر المشتعلة سطح الماء

يصمت ظل الشجر الأخضر
تصفر في القصب الفارغ رياح الهاجرة
يمر العيم على أغصان الشجر الماسك بالأرض
ينجرف الرمل الهش
تثبت في الصخر الأعراق الباحثة عن القطرة...
للغصن اليانع في الهاجرة...
سيأتي الغيم الصادق ذات صباح.
طوبى للحالم بالموج العائم
فوق صخور النسيان
بالبحر الراكب رياح الطوفان

* * *

يا أحبابي المنسحبون إلى الظل
من يوقد قنديل الزمن التائه
الآن يشع الظل.
ساعة يولد في أعماق الصمت
الموج الصاخب
تشتعل اللحظة بكرا
تأتي بالنور على غير مثال
تنعكس الأغصان العارية
على وجه الزمن الواقف
تطفو المدن الموبوءة بالضوء الزائف.

يوليوز 1975

أغنيتان تحت نافذة الوطن

1 - سبتة

عشقتك من زمنِ الفتح
كان الضبابُ المزعفرُ ثوبَ عروس عليك
وكان الرذاذُ لآلى في سالفيك
ونافستُ من أجلك الشعراء
وعشاقك الساهرين مع البحر
والسفن المستريحة غبَّ فرار القراصين
وحين رأيتك بعد الهزيمة
كنتِ أسيرة جيش الفرنج
وجاريةً عند صاحب حانه
وفي باحة المسجد المستباح
أقام المؤذن يكتب بالدم
سورة «إنا فتحنا»
ويلقي على جثث الشهداء
زهور النّرنْج.
رويتِ حكايةَ فتيانك الشعراء
يخطون بالموت شعر الصبابة،
خجلتُ،

فلم أعلن الحبّ،
أدركتُ أن دماء المحبين مهدورة
فرجعتُ ذليل السلامه
كتبتُ رسائلَ
من خلف أسوار حاضرة الملك
كابرتِ أن تقرئيها
أشرت إلى البحر :
كلّ السفائن غارقة
وملوك الطوائف ينتظرون الغنيمة
سألتك :
هل ترحلين معي؟
فأجبت :
مقيمة! حتى تُعَد المعابر فوق «المخازن»
من جثث الروم !
قلْتُ :
البنادقُ معروضة في المتاحف
والفارس المغربي
يشق الغبار وراء الغبار.

2 - الأعزل

وبرّح بي الحب يا وطني
لم أجد غير دمعي سبيلا إليك
ودونك سبع دواهِ
وسبعُ سلاسل
وغاصبك الجاهلي
يلوّح بالسيف بين المحبين
لم ينفع الدمع

غنيتُ تحت نوافذك المطفأة
ومرَّ بيَ القمرُ اللامْبالي
وكان يضيء طريق اللصوص
ويَحرس قصرَ الخليفة
فلمْ تستمع لموالي :
وصاحبتُ قافلة الشعراء الصعاليك
مغتربا وشريداً
وكل المسالك نحوك
عبْر السجون
التي تملأ الرحْب
بين المحيطيْن والحرميْن
وعبر العيون البليدة،
وراودني اليأس
هاجرتُ منك إليك
أبيتُ السجودَ لآلهة الموت
والكبرياءِ المزيَّف،
فضلتُ أن أتسمر فوق صليبِ
وأرفع رأسي بمشنقة
نحو ضوء الشموس
التي تتوهج بين المحيطين والحرمين.
تناسختُ رأسا على حربة
تتجول عبر دروب الرباط
ومرتفعات الجليل
سجينا ومتهما وشهيدا
نَما أملي بنمو المواليد في
مدن الأمل المستحيل.

أبريل 1975

3 ـ حكايات

حكاية

ذات يوم أغارتْ على الناس جائحة
فزعوا
استكانوا لساحرة
اِستجاب لها الحلمْ
حين دعته إلى أعين الفزعين،
حرثت يابس الرمل
واستنبتّتْ طحلباً ومعابدَ
جاء الحصادُ/ المجاعةُ
في صور الطائر الوهم
يأتي مع اللّيلِ في جوفه
ذهبٌ أصفرُ
مرةً، سمعوا نفخةَ الصور
واستيقظ الماءُ في النهر
ذابتْ ثلوجُ المدينة
وانكَشَفَ السحرُ عن أهلها،
جَنَحَ الطائر الوهم للسّلم
جاء على صورة البرلمان

يوسوس في صدر واعظِهم :
انزعوا القلب والرأسَ
ثم ادفنوا جثّةَ الطائر الوهم
في بعضكم،
ارفعوا الرأسَ في مِنبر
أطعموا من دم القلب واعظَكُم
يكتسبْ حكمةَ الصمتِ والانتظار

* * *

عشقتْ طائرَ الوهم
حارثةُ الرمل
جاءتْ إليه على عَجَل
أسلمتْه سوالفها :
«لو تشاء أقيمُ من الهمس
والالتفات مقاعدَ للسمع
ثم أحيل أميرَ المدينة جائحةً
لا يرى من أناسها غير النوافذ
مطفأة وبقايا رماد»
لَمَس الطائرُ الوهمُ بشرتَها
وانثنى يائسا :
ليس بين جلودك ـ يا أم ـ
غير الرماد
وهَنَ العظم منكِ ولم تكسبي
حكمةَ العمر..
«هيا اصنعي شَركَ الخبْز
والحُلم من حولهم رصداً

واحفظيهم من الرّي والشبَع

الجسدي غداء.

أمطرتْ نارها يابسَ الرمل :

«يا أيها الطائر الوهمَ إني أرى

فوق رأسك خبزاً تخطّفه

الطيرُ في السنوات العجاف

وأرى في الزحام مقاعد للسمع

تهْوي

وتجْري الرياحُ إلى غير ما تشتهي من ضفاف».

غشت 1981

كوابيس الميناء

تحْت جناح الليل المقرور
ينزلق على الأسمنت النور
ينزل من فانوس شاحب
ماءٌ آسن
يلْمس وجهَ الصخر الساكن.
يطفو فوق الأرض القفْراء
كابوسُ المقبرة الخرساء
يصرخ صمتٌ لاهب
صمتُ العَرق المتزلج في أرض الميناء
عصفور يحلم مفتوح العينين
تهوي أحلامُه من أغصان ذابلة غبراء
والآلهة المتجمدة البلهاء
مدَّت خيط الصدإ القاتل
للبشَر المشدودين إلى الرسن الخانق
يأتون إذا انتفض العصفور
من حلمه قبل مجيء النور

* * *

قافلة البشر المتآكل
تأوي الآن إلى زاوية النسيان
خيط الصدإ القاتم
يمتد إلى كل الأكواخ
يتدلى من أقواس النصر
يتسلل من ثقب الجيران.
غابات الهمس على أرض الميناء
تأتي من فاتحة الليل الواجم
جرح يتناسل في رحم الزمن القادم.

أبريل 1982

ضفة الحلـــم

الغريبُ المسافرُ يأوي إلى حرم البحر كل مساء
تتنامى الأحاديثُ بينهما طيلة الليل
يأأيها البحر كم زورقاً حطّمته رياحُك
مات على الأفق
حار منذ البداية بين المتاهات والطُرق
واختفتْ من طريقه كلُّ عرائسك الهاديات
ورّثتُه الوارسُ حين تماثل للغرق
كان ينوي العبورَ إلى ضفة الحلم
حيث الكنوز المباحة
خلف بوابتك السابعة
لم يخلّف على ضفة الظلمات مناديل
تحتضن الدمعة اللافعة
لم يصادفْ على ضفة الحلم
غير الكوابيس والصيحة الرادعة
أي هذا الذي جاء يحمل خارطة السندباد
باحثا عن كنوزه في نائيات البلاد
لو نشاء جعلناك قاطرة

يترامى الحديدُ على وجهها زمنا
وتخور على السكك الموحشات زمانا
وتبحر فوق السَّراب إلى ضفة المستحيل
حين ألقتْ بحار الشمال نفايتها اللامعة
وسَرتْ في الظلام قشعريرةُ الجزْر
سالتْ بوجه السواحل باردةً خادعة
غبْت في حضرة الحُلم عن وجهِك السَّلفيّ
حملْت التغرب خاتمةً
يا غريبُ تقولُ السهامُ :
سماؤك غائمةٌ والنعيمُ محال
والمياه معلقةٌ بين برِّ الهلاك وبحر الشمال
تمسك الأرضُ كل حشائشها وسنابلها
لا يدبُّ على وجهها ذاتُ ظلفٍ
ولا مُستظلٌّ بسقفٍ
ويجري على الناس مجرى الطعام
قَدر ما طمعوا من تهاليلَ أو أدْعيات
فإذا انكشف الضُّر عن سنوات عجاف
يخرجون إلى الحرب
من خلوة نسيتْها التواريخ والحفريات

مارس 1983

فاطمـــــة

الزمان الخرافيُ لا ينتهي لبداية
هو قبْل البداية، يا ولدي،
ربما كان بعد النهاية
الحكاية تبدأ من دهشة
كان فيها التّساؤل يشرد
ثم يعود صدى وطلاسم
كلما جدّد اللونُ موعدهُ
وتوالتْ عليه المواسم
يستعيد السؤال طفولته
تتجدد فيه البادية
ينشر الاخضرار جنودا مجنّدة
وتسودُ القبابُ الرزينة
تستكين المدينة، تجري بها سبل الوجْد
نحو الضريح
يهمس الاخضرار لفاطمة
بطقوس الغياب
تفْهم السرّ فاطمة لتبوح به لعيونِ النّساء

ليس فوق المآذن غيرُ السماء
اختفت في اللحاف
وغامرت امرأة بالعبور
إلى سدرة المنتهى،
خطفتْ قدميها على غرة
من حريم إلى حرم،
إن للّون عائلة
ولِخطو النساء كلاما.
حضرتْها الإجابة
طارت إلى مجمع الأولياء
وجاست خلال المقابر لابسةً خوفَها.
ليس فوق المقابر غير السماء
يستطيع النشيد الرُّجولي
أن يتنامى على صهوة الريح
ملحمةً وحريقا
يتسلّق خدرَ البكارة
منتشياً وطليقا.
غفلتْ عن حريم عرائسها
حين طاف بها طائفٌ
الخمس عشر
نسيت عارها الأبدي
وأرْختْ عِنان أنوثتها
في حدائق وحشية اشتهتها مُقاما
دفع الخصب بالشجر المنزلي
إلى شقّ نافذة في الجدار الحرام

جاءها مهرجان الذكورة

منتصراً للقبيلة،

والذكورة بالغةٌ أمرَها،

وتُغني على الوتر الفرد فاطمة،

صوتُها كارتعاش الرياح على صفحة الماء

كانتفاض جناح سحابة

سكنتها الرياحُ

وأغفتْ على صهوة الحلم

دالت لها عقبات الطريق

سكت الهمس واللمز في سمعها

واستفاق زمانُ الخصوبة.

1984

دوائـــــر

- 1 -

لا يزال الزمان يراوح منطلقَ الموت والانبعاث
يبدأ الإصْبهان مسيرته من أعالي المآذن
تستعيد المدينة صحوتها
وتجوسُ خلال المقابر
باحثة عن طريق السماء
يستفيق الذين يسيرون في الأرض هوناً
على أثَر الأمس
نفسَ خطى نوبةِ الإصْبهان
يتوالى مدارُ الصنائع
بين طفولة غرناطة المشتهاة
وبين نشيد الجنازة
حتى مغيبِ الزمان
تنتهي نوبة الذيْل هامدة
بعد سبع ليال
ويظل الزمانُ يراوح منطلقَ الموتِ والإنبعاث.

- 2 -

سكراتُ النعاس ولونُ الكَرامة
فاتحة للحضور وبوّابة للغياب
تستكينُ الكرامة في حضّن خالقها،
يرث الولدُ البكرُ سرّ الكلام،
الحروف شواهد قائمةٌ
والكنوز كوامنُ في رحِم الكلمات
ربما كان حرفُ التشهد «لا»
هو سر التمرد والاغتراب
ومن الكلمات شياطينُ رافضة
وملائكةُ الإمتثال.

- 3 -

امسكي كلماتك يا أم
هاتي يديْك لعل أصابعنا
تتهامس في غفلة الكلمات
أستعيد الطفولة من أبجدية نبضك
حين أسافر عبر صفاء الحجارة
حين أشاهد ذبذبة الإخضرار
علي الجسد المتمَدّد كالنهر لا ينتهي لمصب
وأجهل منبعه ومساره
ليس لي غير تلك الطفولة
مبتدأ لتوحد نبض الصنائع والكلمات
وحروف البداية لما تزلْ بالجدار
متوهجة الإنتظار
والزمان يراوح منطلق الموت والإنبعاث.

مارس 1985

حدث في تطوان

1 ـ نشيد الغياب

(إلى محمد الجعيدي)

أراك من خصاصة الغياب
ممتطيا غزالة العذاب
علي جناح الريح الغجرية
أسمع صوتك الذي يأتي من الأعماق
يخترق الحدود والأنفاق
يسألني عن موعد القيامة
يخضني :
إني تركت لكمْ بداهة الإجابة
وانتفضتْ أحلامي من محرقة السؤال
فاختصموا في الحال والمآل

* * *

ينطفئ الضمير بانطفاءة السجارة
وتهوي بعروشها العبارة
يحلق الخفاش فوق ساحة العدالة
يأتي مع المساء والقتامة
ويزحف الهمس على الشوارع الخلفية

يصمت الآن عاشق الحرية
يستسلم« محمد»
يغضب بابتسامة
يغيب في الدوامة الغبية
ويكتب الحضور والشهادة
في الملأ الأسفل والأزقة المنسية
* * *
العمر-يا صديقي - لحظتان
غياب وشهادة
وأنت في غيابك الملآن
تشغل كل مقعد
وتسكن الزمان
تأتيني في الألحان
ونشوة الفنجان
وفي طقوس الحب وجدارة الإنسان
لغتك الجديدة
تتيح لي الهنينة الفريدة
يخرجني حرفك من سيولة النسيان
وثرثرات الوالغين في دم العدالة
وصَخَبِ الأجسام عَبْر ساحةِ العدالة
ترجمُها سحائب الزرزور
بلعنة الغياب في الحضور.
لغتك الجديدة
أرسمها في لهف الأمواج
تلقي حمالها على الشواطئ المهجورة
تبقى بلا أنفاس

وتستعيد نبضها
من موجة موتورة

* * *

أراك من خصاصة الغياب
تزيح عن بوابة الزمان
ستارة وهمية
ألمح من خلالها
« ليلى وعمر» على أجنحة الرياح الغجرية

2 - تطوان

يلتف حول قدمي الزقاق
تسحبني الدوامة المسحورة
ترقبني من شرفات الدار
حمامة مذعورة
تحط فوق كتفي
تصيخ لي
تسألني هويتي
فيلتقي المصب والمنبع والأعماق :
« أنا الذي يشير بالأصابع الخمسة للمدار
فينحبس الظل والضياء
ويذكر الزقاق
أيامه الفتية
وتكشف الدروب عن إمرأة فيحاء
وعن عروس المطر
وصبية يلتمسون سلّما
لقبة السماء»

تعرفني الحمامة
تفتح لي بوّابة المقصورة
تبوح بالحكاية المحظورة :
في لحظة المخاض
تسللت كَتيبة الأشباح
واغتصبت حورية
تسبح بين الزبد والماء
وانطلقت بارودة عمياء
من خدر الشهوة ومأدبة اللئام
وعقدت لواءلاستباحة المدينة.
تحتل الببغاء
منابر الخطابة والشعر والإفتاء
ينسحب الحَمّام من بوابة الرواح
يعود للسقيفة الحميمة
تصول في المدينة الأشباح
تهَرّب الملحون والأمداح
تحت جلباب قينة مهينة»
تستيقظ تطوان
تنهض من إغماء إغماءة الهزيمة
بين ديب الحلم
واسيقاظة حرام
ينتفض الحمَامْ في خميلة العشاق
يغادر السقيفة الحميمة
يطير في إستحباء
إلى مدار النخلة العجفاء.

دجنبر 1985

3 ـ طريق النهر

ساعة الرمل

يعرفُ الرملُ ساحةَ دورتِه
بيْن قارورتين
يتكوّم في قعْر إحداهما
ويعُود إلى البدء في رحلةٍ مستعادة،
أيها الزمن المتراخي بنا
لا تقِفْ في الطريق إلى الحاضر القادم
أيها الحاضرُ المتواري
استرِدَّ مشيئتك المستباحة
كُنْ غداً ماثلا
ولْتلَوّنْ سماءَك كيف تشاء
كمْ رأيناك يا أيها الأمس
ملتبساً بالغد المقْبلِ
وحسبناك فاتحةَ اليوم
أو مبدأ الرُّشد
بعْد زمان الغواية
مالذي يتّبقى
إذا أخلف الغدُ موعدَه

وتسرّب من بيْن قارورتيْن
على نغمة مستعادة
فلْنقلّب إذن ساعة الرمل
ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال
ربما حلَمَتْ ببعيد الموانئِ
واكتشَفتْ عتباتِ المحال

فـي الـليل رياح ونباح

هذا الليل الشاسع
لا تأخذه سِنةٌ أو نوم
تَجري فيه الريحُ طَليقة
مثلَ نُباح الكلب الشاردْ
يحلم فيه الناس
ما بيْن اليقظة والغفْوة
ينتظرون وصولَ الفاتح عنوة
كي يفْصل بين نباح الكلب
وصوت الريح
ويَرَون لسانَ الكلب
يلْحس حافرَ مولاه
ويبصبِصُ من تحت حذائه.
أما بعد
فالقمر المسكين
يَكتمل الآن هلالا
دائريَ الوجه
يَتصدر هالته

ويرتب أحبابَه
ويُوزع أحلاما حلزونية
يستدْفئ بالضوء البارد
لايَسْمع صوتَ الريح
ولا صوتَ نباحِ الكلب الشارد.

رثاء النوارس

(إلى الشبان الذين ابتلعتهم أمواج البوغاز وهم يَحْلمون بنهاية زمن الضياع)

وجوه على الصخر صامتة
وبقايا ثيابٍ
مبللة بالسواد،
وبحْرٌ يغادر مِلْحه
ملتبساً بالضباب،
زوارقٌ تغرق
مثقلةٌ بالزمان المكلّس.

أتى زمنٌ يا طريفُ
وليس وراءَك جيْشٌ
على أهبة الفتح
بل زَبَدٌ
وزوارقُ تائهةٌ في الظلام،
جداولُ من عَرَقِ الأرض
تملأ بحر المضيق
وتطوان تغزل جُبة ريح

وتطهو لأبنائها حجراً
في انتظار الغريق.

على ضفّة المستحيل
تَكسر ريشْ النوارسِ
فوقَ الصخور الكئيبة
وانتفضَ الحْلم
في رعشاتِ أخيرة.

وجوهٌ على الصخر صامتةٌ
وبقايا ثياب مبللة
بالسواد
وَوحشةُ صمْتِ المدائن
وحشةُ صمتِ المقابر.

لا نهر في المدينة

لاَ نَهْرَ يسقي عطشَ المدينة
فليشربِ الناس غبارَ الآبار الدفينة
تَجري من تحت غابة
ليس بها ثمارٌ أو ظلال
الناسُ بين داخلٍ مفقود
وناجٍ من متاهة مولود
وظامئٍ مشتعل السؤال
أفي الكؤوس ملح أم زلال؟

لا بحرَ تحتَ هذه السفينة
فلْتدخلْ في مجاهل الظلام
ولْتبحرْ بين زبدٍ مسترخٍ ورماد
بوصلةٌ حمقاء
ورياح لا تنام
يَجري خُلّب البرق
بين السّحب العقيمة
على ضباب كوكب الأوهام
يَجـــر فـي أذيـالـه الطوفـــان.

تــلــفــزة

مآت النوافذِ
لكنها تتنفس من فم قارورة
وتتابع في نصف إغفاءة
ما تقول حَذام.

دقائقُ تمضي بلا وَجَع
والمساءُ يقودُ أناساً إلى حتفهم
في لباس المنام.

يَسودُ الشحوبُ وجوهاً بدائية
تستطيب دوامَ اجتراراتها
وتسافر عَبر هواجس
مرئيةٍ وبعيدة
تُسَلم أرواحَها بارتخاء.
مآت النوافذ
خَابتْ مآربُها
واستكانتْ لدائرة الفَقر
حتميةً ونهاية.

لـــعب وبـــكـــاء

صبيةٌ يلعبون
لعبةَ المتسول والمتصدق
والدّركي الذي يتمثّل فزاعةً
ويهش على غَنَم
تتهجى الثُّغاء
على ورق يتيبّس جيلا فجيلا
وتَبحث في قعر بئر
عن القمر المتكسّر
بين شظايا النجوم،
والخطاطيف تُخطئ أعشاشَها
وتُزقزق خائفة في المساء،
ضَحِكٌ ينتهي بالبكاء،
بينما يَرقب المُتصدّق من شرفة
أن تَبيض السحابةُ في برجه
قمراً ذهبيا.

سُلَّـــمُ الإرتـخاء

كُلما انخفض الهمسْ
قلنا غداً نتدحرج
من سُلم الإرتخاء
ومعالي الوزير يدبج خطيبتَه
ريثما تستقر الرياح :
حينما يتغنى الذي يتخبط
في ليلِهِ
يتناسى
ولكنه لا يرى وجهه في الظلام
والذي يُحسن الغْذر
لا يستحق الملام!
بينما أتأمل
ما بين أسطر هذي الجريدة
يكتسب الصمتُ روحَه
والجسدُ المختفي
والإشاعةُ تَدخل طورَ العياء،
تتدلى من السقف أنسجةُ العنكبوت ونمّلٌ رمادي

يقضِم الخشبَ المتلاشى.
سُحب تتجمع من كمياء الحوامض
ورياح تُعري بذوراً مشوهةً
وأصابعَ مشبوهةً في التراب

يَسقط الوهمْ من برجه
وتريد السحابةُ أن تتلقّفه
بدخان،
قمرٌ ينحني
ويَرى وجهَه أسفلَ الماء
في صورة الأفعوان
والزمانُ يَسيل شآبيبَ
نازفةً العنفوان.

لــــزج الحلـــــزون

رجلٌ يَتمدّد هذا المساء،
عاد لِلحلم ثانيةً
فإذا نورسٌ
لم يَضِع بعدُ بوصلته
ما يزال يُحلق من حولِ هامته
بين ذاتِ السماء
وما هيةِ الحَجَر المتجهم،
أوَ لم تَنكسرْ موجةُ الحلم
والحجَر ازداد عافية وجفاء؟
يَخرج الغصنُ من نقطة
في مساحة دائرة الحجر المتجهّم
وتَجيءُ الثمارُ
لتبحثَ عن ظلها
في الشعاع الذي يتَكسر
فوقَ محيطٍ ودائرةٍ
تتجمعُ حولَ محاورها
وتَضيق.

رجلٌ يتمرذ هذا الصباح
على وجهه
في مرايا الغبار
التي تعكس الأرضَ نازفةً
والزهورَ مساميرَ
غائصة في التراب.

رجل حوّلته الشعاراتُ
فوقَ جبين المدينة
حلزوناً على ظهر لافتةٍ
و شعار
يتّجنب عاقبَة الفعل
والنظر المتسائل.
رجلٌ يكتفي بالإشاعة
يتلاشى
ويُصبح جوهرُه جسداً
ينتقل حوْل مَدار
الثلاثينَ يوماً
يَعود على عقبَيْه
ويبدأ، ثانية، دورةً
في الثالثين يومًا ...
ويهبط في لزجِ الحلزون.

الطحالب

الهواءُ بلا شَجر
والطيورُ معلقةٌ في السحابِ
على رأس زاويةِ الضوء
منفيةٌ من أناشيدها
والحروف بلا لُغة
والبحار طَوتْ ثوبها
إذ تَخَلّتْ عن الموعد الريحُ
وانسحبَتْ للمغاور

الصباح/المساء
يسيران مَثنَى
خُطى متوازية
يَحملان رفاتَ المدينة
والطحالب تَمكث في بِركِ
نَسيَتْها الخرائط
لا هِي بَحرٌ
يُخَلخله الموجُ
لا هي يابسةٌ
تطمَئِن إليها البيادر.

حفنة رمل

رجل وامرأة نحنُ
ولسنا وردةً
تشرب من نهر جسدْ
نحن وجه من مرايا الماء والريح
إذا ما كسرا وجه القمرْ،
لوحةٌ لم تبقِ منها أثراً
نفخةٌ ريح
لمعة تَنفذ بين الجلد والعظم
فيعوي عطشُ الرغبة
والحب يُغني،
دوحة تحتضن الليلَ
وأحلامَ العصافير
ذرّةٌ من حفْنة الرّملِ
تذريها الرياح
ثم يهوي الرمل نحو الرمل
إذ تخبو الرياح.

طــواف الــريـــح

تعود الريحُ خائبةً
فيسألها جنيُّ البحر :
ـ ماذا تحملين إذا غدوتِ
وما حصادك في الرّواح؟
تُجيب الريح :
ـ فارغةً أغادرُ ساحةً
يَأوي إليها الليل
أسْرحُ في مدار الأرض
أسألُ عن بدايات الصباح
أُطوّف ما أطوّف
ثم آوي
إلى كهف
مُنكّسة الجناح.
إذن، يا ريحُ سيري في مدار الأرض
علّ سؤالك المِلحاحَ
يَفتح باب أسوار المدار
وتمضي الريحُ

سالكةً فجاج الأرض
تعوي في متاهات الكهوف
فيسألها جنيُّ الرمل :
ـ فيمَ سعارُك المحمومْ يا عمة؟
تجيب الريح :
كارهةً أزمجر في المغارات الكئيبة
وأنفخ في الصدى
حتى يُضاعف من أغانيه الرتيبة
لعل كلامه المكرورَ
يُفصح عن بدايات الحروف.
ـ مُضلّلةٌ إذن ياريح
غضّي سمعك المخدوع
عن هذا الصدى
ما كلُّ كهف مَهبِطٌ للوحي
ما كلُّ الحروفِ بدايةُ التنْزيل.
وتختلط الملاعبُ إذ تجيء الريح
من كل الزوايا
مُقنَّعةَ الملامح والنوايا،
ويُشهر روحها الوحشي أنيابا وغابا
ويكبر تحت هذا السقف
أطفال الغبار
نعالهم التراب
وسيرهم ضد المدار.

هـــذا الأنـــــــا

تَفيّأتُ ظلَّ حروفي
وواكبتُ قافلةً
تتحول أحرفُها قطرات رخام
رجعتُ إلى الغد
مكتفياً بصدى نصف قرن
انتبهتُ إلى نبضات رفيق
تعودتُ أن أتجاهل صحبتَه
منذ خمسين عاما
تلاقتْ خطانا على طُرق ومسالك
مفروشة بنثار السراب
وكنتُ انتحلتُ ملامحَ في أعين الناس
لكنَّ هذا الأنا تتعاقب أوجهه كالفصول :
خريفٌ يسَلّم أوراقه للرياح الجديدة
شتاءٌ يُبيح معادنَ بلّوْره
ليغامر تحت غطاء حبيبته
المتمنّعة المستجيبة،
ربيعٌ يعود إلى نزوات الطفولة
تُرى أيُّنا يشهد الآنَ مبتدأ الخلق
في بُرعم
وقُبيل مجيء قصيدة؟

طريــــق النـــهــــر

كنتَ حين اغترابك
تطْلب ظلَّ حدائقَ
مسحورةٍ مستحيلة

لمْ يكنْ للحياة حدودٌ
تُفارق مملكةَ الموت
بلْ قصصٌ
غيرُ خاضعة لطقوس المكان
وميلٌ إلى عتبات النكوص
وأقْبيةٌ تتجلى
وتخرج من ظلها
تتبارى على مسرح الحزْن
خلف ستائره صمَمٌ متعال
حضوره يكْتسح الرُكْح
في معرض متواصل.
جسدٌ يتوارى
ويخجل من سوء ما بشّرتْه به القابلات

شبحٌ يضَع القدميْن معاً في الضباب
ويَحجبُ عن سكرات الطفولة نشوتَها
عنكبوت المواعظ
يُفرز من جوفه شَركاً
ليبددَ بالوهم حلمَ الحياة.
مبْعثُ الخوف والأمن
أدعيةٌ أو كلام يقال ويسمع؛
قد يُصبح المرءُ أعمى
بمحض قُشعْريرةٍ أو عُطاس

رحلتْ عنك بعضُ الكوابيس
في لحظة نادرة
واستمعتَ إلى قصص النهر
منتعشا بالكلام العتيق
الذي لم تطأه الشفاً
شعرتَ بهول المسافة

بين المنابع والبحر
حين تسيرُ وحيدا،
وبالأُنس حين تقاسم غيرك
هذا البساط المشاع.

أنتَ منذ رجوعكَ
لا تنتمي لحدائقَ
مسحورةٍ مستحيلة

أكتب في دفتر الماء

ـ 1 ـ

خرجتَ من الذات
أمّلتَ ألا تعود
فأقْفرتِ الأرضُ
واصْفرّتِ الكلمات
ولَم تُرجِع الخطواتُ صداها
وغامتْ شفافيةُ اللون،
لم تتجاوزْ حدود السواحل
بلورةُ البحر.
ثم رجعتَ إلى نقطة البدء
حيث الحياةُ تصب رحيق فواكهها
في كؤوس الجداول
والشجرُ المتمايل
يثْمل من رعشة تتنامى
وتشعل أغصانه بالنجوم.
وذات خريف
يقولُ لكَ البحرُ

ماأجملَ الموتَ فيَّ
حين لا تَستطيع الحياة مَعي.

ـ 2 ـ

يَحُّل المساء
ويُوشك أن يستحيلَ رمادا
ولازال شيءٌ من الصبح
يَنشر أوراقه للرياح
ولازال صوتُ المياه
يَجيء على فترات
وَيترك في الأذن
طعمَ الزمان العتيق،
وها أنتَ ذا تتهجى مَلامِحهُ
من بعيد
وتكتبُ في دفتر الماء
أحجيةً ونشيدا
وها أنتَ عينٌ معلقةٌ في الفضاء
تُشاهد روحا
يَصيغ من الجسد المتكلّس
عشَّ الحياة
ترى جسداً يتمدد بين الصخور
ويصنعُ بالحلم
أرجوحةً من حرير.

مـــن ذرة رمـــــاد

نُقطةٌ تختفي وتعودْ
وجَبينك يعرف هذا التوتّرَ
منذ بعيدِ العهود
نقطةٌ تستثيرك
كَيْ تكتفي بالوصولِ الذي لا يبالي
وتنزعَ من قدميك الحصَى
وتُعلّق باب الزمان
على لحظة جامحة.
كُلّما هاجَمتك الدّواهي
وأيقظتِ الألَم المتأصلَ
بين ملامح وجهك
شيّدْتَ صومعةَ الأمل المتواصل
كي تتوهمَ أن زمانَك ملحمةٌ
وأنينك قافيةٌ وأغان
سيَمَارسُ ــ هذا المساءَ ــ
رواذ الدهاليز عادتَهم
ويقولون :

هل تستعيدُ صوابَك
من قبضة المثُل المتعالي؟
وتقول :
تَتبيَن في آخر الليل نافذةٌ
لاتراها العيون التي عميتْ
في الدهاليز،
إن زماناً تهاوَى
وخَلّف آثاره في عِظام الدناصير
هو الزمانُ الخُرافي.
يَعرفُ الموجُ في البحر
والشجرُ المتماسك في الغاب
كيف تَؤول الرياحُ إلى حتفها
بينما يمسك البحرُ آلية الطَيّ والنَّشر
والشجرُ المتفَحّم
يَعرف معجزةَ البعث
في ذرة من رماد.

حـــرب الخاســـر

تَطوي السنوات
كما تَطوي الكتبَ المقروءة
في مَنطقةِ البرزخ
بين جحيم الذاكرة
وجنات النّسيان،
والجسدُ اليافعُ
يَطْرد عن جفنيْه النوم

أحدٌ لا يسمع أو يحكي الآنَ
قصةَ صياد
عادَ إلى الشاطئ
والفجر يَخطّ حدود البحر
فإذا في صيْده حورية.
أحد لا يسمع أو يحكي الآنَ
قصةَ حطاب
ألقتْ به عاصفةٌ في قبضة كهف
فتحوّل فأسه إبْريزاً

من فِعل البرق
وعَوَى في أذنيه الذئبُ المقرور
فجاءَه موسيقى
تتمايل من إيقاعاتها الأشجار

لكن لا زال يريحك
أن تستيقظَ ذاتَ صباح
وترى سِحرا ينقلب على ساحر
وتعانق تنزيلاً
منقوشا في حجر نادر
وتغادر جثّة ما ضيك المنسية
في ساحة حرب الخاسر.

عـــــــودة

أعودُ اليوم للأمس المموّه
أعود إلى التناسي
إلى ظلٍّ يخيط الليل بالليل
يطول فيسترد الليلُ قامته
ويستولي على قمَرٍ
يسامرُ ليلة الأشباح.

أعود إلى أصائل ما قُبيلَ العيد
أصائل موكبِ الأرواح
إلى نجم غريبِ الضوءِ
يمْحو صبغةَ الأشياء
وتحتجبُ الأهلّة
حين يظْهر في سماء العيد
على أكتافِ مئذْنة
تناطح زرْقة العلياء
أعود إلى التواءات الخطى
في الشارع الحَجَري،

إلى طرق
تسافر في خيال الرائح الغادي
وأبوابِ معتقة
وأسوارٍ تحاور ظلّها
في رأس زاوية المرستان
الذي يرتاده العُقلاء

إلى شفشاونَ الألمِ المموّه بالتناسي.

نرجس

أنت الذي ترسم خيطَ الزمن الوهمي
لنرجسِ الهواجسِ والذات
هل أنت وحدكَ الذي تملأ
هذا الصمت؟
وهل خطاك وحدها
تفتح هذا الدرب؟
هل كنتَ في احتِمال كل شيء
وفي غياب الزمن والشئ
وجئت بجلبابك المجهول
من عالَم الضباب والذهول
لتنحتَ النجومَ والسماء
من صُلب هذا الحَجر والماء؟
أنتَ الذي تَود الإنسِحاب
مِن عالَم الشهادة
تَسحَب ظلَّك وراءَ غاربِ الأبواب

أجئتَ من مظلة السحاب
مع الهواء ذائباً
لحفلة التاريخ
وتعتزم الإياب
لكوكبٍ من غير هذا الماء والتراب؟

غبار

يَستوعبُ التذكرُ النسيان
وتَستوي الأفراحُ والأحزان
لمْ يتغير شيء
إذن من أين يأتيك الحنين
لماضٍ يختفي
أوْ لمستقبل يَحين،
تَذهب أزليةُ الزمان
بعيداً نحو القمة العميقة
والشجر المقَلمْ الأغصان
يُخرج من أطرافه القديمة
زهوراً وفواكهَ بيضاء
أسألها من دون أن يسمعَني الخريف
من أين يأتي ضوءَك اليقين
من حجر رَزين
أم من ذهب حزين
أم من ظلام القمة العميقة؟
تُجيبني :

يلبّس كل طرَف نسيانه
يُخرج من عجمته بيانه
يحلم بمهارة الطيور
وشساعة المكان
تُفلت من قبضته الفراشة
يبقى بين الأصابع الغبار.

وجـــــــــــود

وجهُ العازفِ جثةُ معدن
والموسيقى نغمٌ وأسى
تبرّق من أسلافك
يعزف في زاوية من أحلامك
نوبة «رصد الذيل»
يأتيك صدى
من منعطف الحَجر
المتشكّل بالماء المصبوب.
ها إنكَ توجَدُ بالصدفة
في مجرى النهر
وفي جبل «العشاق»
وفي رمْل «المايـة»
في هامش أخبار القصاصين،
في أذكار الثلث الأول
من ليل لا يَلتمس الصبح
هل ينتظر الثلثُ الآخر غاية.

زيتـــــــــــونـــة

الطريقُ المسائيْ يَنزل نحو الظلام
وبريق الخديعة يبهَت من وهَن
ويغادر مرتفعات التلال
والظلام يُضيء مداخلَ غيْب المظاهر
حتى يعيد إلى الأرض زخرفَها
وإلى جسد الماء نبضَ المعادن،
يَخرج الهمسُ من ظلمات السراديبِ
يَظهر في رأس زيتونة
أمَسكتْ بدمام الرياح
وراحتْ تثبت أرجلَها في التراب،
هي زيتونةٌ لم تزلْ في أوان الخصوبة
حاسرةَ الوشم
معزولةً فوق تلّ
تحاشى منابَتها السيلُ
وانجذبت لفضاءاتها
شارداتُ السحاب.
هي زيتونةٌ أو منارة،
والعصافير تَعرف كيف تغادر ثم تَعود
على سكة من شعاع.

الولـــــد القمـــــري

الشبابُ الذي كان يُمكن أن تتذكرَه
لو ركبتَ أراجيحه
وعثرتَ على نجمة القُطب
بين مجاهيله
لوْ كشفتَ الضباب،
كان يمكن أن تقتَفي أثرَ الخطوات
وتقرأ شفرتها
تستعير من الحلم ذاكرةً
تستعيد بها صورا
تتوهّم فيها زمانَ الشباب.
كان يمكن أن تتذكرَه
لو مرَرتَ به ذات يوم
والمرايا التي حفِظَتْها الدهاليزُ صافيةً
ما تزال
في انتظار شرار المشاعل
في ليلة الاحتفال.
ربما بهَرَ القلبَ صوتُ المؤذن

أو عثرتُ بهِ قيثارةً
بأصابعَ حائرةٍ
بين صوتٍ سجي
وقافيةِ الابتهال

أنتَ ذا تتفحّص عمقَ المرايا
وتتبع ذيلَ الوقائع
في أفقٍ تتجمع فيه الوساويس
يلتبس الحلمُ بالاحتمال
وتنتفضِ المومياءُ
التي كنتَ حنّطتَها بيديْك
وتخرج من طبقات الغبار
سيمكنكَ
اليوم أن تنتقي
من وجوهك ما تشتهي
وتغلق بابَ الدهاليز
في وجه ذاكرةٍ لا تنام،
سيمكنك الآن
أن تذكر الولد القمريَ
وتنسى ملامحَ ضائعةً في الزحام.

جـــزر معـــمـــورة

ـ 1 ـ

إذا كنْت تبحث عن زهرةٍ في الطريق
فعُد لأوائل عهدك بالرقص
فوق مفاتيح مُعجمك المتمرّدِ
وَالْبسْ بياضَك للموتِ والإحتفال
لعلّ كلامك يسترجع الروح
والكيمياءَ التي تجمع الجوهرين :
الأسى والفرح.

ـ 2 ـ

جزيرةٌ الأحلام
بعيدةٌ معزولة
لكنّ كلّ ذرةٍ
من أرضيها مسكونة.

ـ 3 ـ

من أيّ نبع يستمدُّ ماءَه الخيال؟
من أي سَرمدٍ يأتي بحجر الحياة؟
من واحةِ الأشواق للمغَّيب المحال

وتوق الانتظار
وسأمِ الإنسانِ من دوام هذا الحال.

ـ 4 ـ

جَسد يسقط في اللاشيء
يهوي في أخلاط البدء
يتلقّفه حضْن العالم
ينبت ثانية
في حضِ الإيثارِ وبستان الآمال
يتجدد في نُسغِ الأرحام
ماذا يبقى بَعدْ
غير سرابِ الأوهام.

توقيعان على بيـــاض

1 - البقية

يولد هذا اليوم
يَخرج من غياهب الأزمان
خالٍ من الأسماء والهوية،
وبين مغربين
يحمل ألفَ اسمٍ
ويترك لنا البقية.

2 ـ المدينة المحروسة

أيتها المدينة المحروسة
بقوةِ الأموات
أيتـــهــا المقــبـــرة المنســيـــة
يسكنكِ الصمتْ
وتخترقكِ الأصواتْ
وتُعلن الساعةُ موتَ الساعة.

كتابة صغيرة

فضاء الأرض
هالات النجوم
والكواكب البعيدة،
كتابةٌ قديمة كبيرة
في صفحةِ السماء السَّرْمَدِيّة
أما أنا فقد أكونُ هاهنا
حزيناً
وضائعاً في كوكب صغير
مشغولاً بأحلاميَ الصغيرة
لكنني أخطّ على الأرض
كتابتي الصغيرة.

ما حاجتي للصمْت
إن لم يكنْ تأمّلا
أو حلْماً أو إرهاصاً بقصيدة.
مَكْتوبٌ في الصحائف المروية :
لا مجدَ إلاّ مجدُ الغرباء

ولاضوءَ إلا مِنَ الحرية.

يَنْفذُ ما تُعطي يدٌ سخية
وتبقى اليدُ حيّةً غنية.

تسألني حبيبتي
ـ ماذا تَحملُ زاداً لرحيلك؟
ـ أحمل معي أملَ العودةِ لجحيمك.

غـــــروب

أطلّ طفلٌ من شرفتِه
على شساعة السماء،
حَسِبْتُه يَعد بالسبّابةِ الصغيرة
نجومَها الكثيرة.
لاَحَقْتُهُ
واستَغرقني العدُّ
حتى قال لي :
ـ عجبتُ من حماقتك !
أنّى لك أن تحصي النجوم
بيدك الوحيدة العزلاء !
ـ رأيتُك تَعدها
بيدك الصغيرة الفتية
فكيف لا أقْدر وأصابعي قوية ؟
ـ لا أحصي النجمَ
لكني أسألها عن نجمتي
التي تنام الآن في الظلال،
في كل نقطة على مشارف السماء

طفلٌ يرعى نجمته الفريدة
يَحلُّ حيث حلّتْ
من أبراجها العديدة،
ونجمتي تأتي مع بشائر الصباح
صغيرةً جديدة.
متى تأتي نجمتُك الفريدة ؟
انتبهْتُ !
كانتْ نجمةٌ تهم بالغروب.

سحابــة مغامــرة

سحابة مستهترة
تسدّ بابَ الذاكرة
قوسُ قزَح ماكر
يَحجبُ وجهَ وطن الأمسِ
ويمْحو حاضرَه
يَرسُمه في الحاضر الآتي
محضَ سراب مائع
مستْبدلِ المواقع
أو زوْرقاً يَنتظر الزوابع.

سحابة مغامرة
تأخذ من قوس قزحْ
أحلامَه السبعةَ وتَنبش كهفَ الذاكرة
تَكتب اسمَ شجرةِ الصنوبر
على قِمّة الريف
وتُلغي اسمَها المزَور
تَعرف حدَّ المدِ وتنفُّسَ البحار

على أسوار المدن العتيقة
تستجوبُ القِمَم والأغوار
عن حاضرٍ مُنفلتٍ مُمانع.
يمضي إلى آتيهِ ويَسْترجعُ المواقع.

سحابةٌ تجْمع آيَ البحر والتراب والسماء
والصمتِ والضجيج والغناء.

نشـــــور

جسد يَسقط في اللاّشيء

يهوي في أخلاط البدء

يتلقّفه حضنْ العالم

يَنبت ثانيةً

في حضن الإيثار

وبستان الآمال

يتجدد في نسْغ الأرحام،

ماذا يبقى بعدْ

غير سراب الأوهام.

جزيـــرة الأحـــلام

جزيرة الأحلام
بعيدة معزولة
لكن كل ذرة
من أرضها
مسكونة.

مِن أي نبع يستمد ماءَه الخيال
من أي سَرمد
يأتي بحَجر الحياة
من واحة الأشواق
للمُغَيَّبِ المحال
وتوْق الانتظار
وسأمِ الإنسان
من دوام هذا الحال؟

ظـــلال

ـ 1 ـ

نتهافت حول الضوء
نجْتنب الظل
نلتمس من المرآة
جثّة ضوء بارد
لكن الظل أخيرا
يفْجأنا بشعاع
لا نعرف كيف/متى
خط مسالكَه السرية.
في الظل تموت عيونْ
المرآة الصدفية
وتضيئ الأنوار اللّدنية

ـ 2 ـ

بينما ينقل الظل خطوه
من شجر لحجَر
سأدَون واقعة الحلم

في دفتري
قبلَ أن يغمُر الظلُّ ذاكرتي
وتكفَّ عن السفر المتواصل
من نفَق في عميق الكهوف
إلى قمة في مدار النجوم.
بينما ينْتقي الحلمْ صورتَه
من شريط الكوابيس
تنضج رائحةُ اللون
حتى يصير البياض
مناديلَ
للموت أو للحياة

ـ 3 ـ

يَكبُر ظلُّ الشجرة
يمتد ظلُّ دوحة رهيبة
يغمر وجهَ الأرض
والحشائشَ الصغيرة يُفلت من قبضته طير
ويعلو الشجرة
مرتعشا ينتظر الظلَّ
الذي تأتي به ليلته المنتظرة

* * *

يُحلق النسرُ على كل الظلال والشجر
يرقى إلى منابع الضوء
ويُلغي العتمة
لماذا لا يخاف ظلَّ الليلة المنتظرة.

نضجتْ عضلاتُ الفتى
فجأة
كان يَسبح
إذ نبت الوشم في صدره
وتناهى إلى حسه
أن عصفورة نقرتْ عشَّها
فوق غصن من الوشم
إذا أشرقت شمسه
وبدا الظِلُّ من عضد السّنديانة.
إختفى
واستعارَ من البّحر ثوبا
لكي يحفظَ الوشمَ
من غُلَواء الغِواية.

إنســان كالرجــال

(عبد الكريم الطبال. الإنسان)

ذلك الرجل الرائح الغادي
يتأبّط بادرة في الصباح
وحنيناً إلى دفءِ مَنزِله
في الرواح
ذلك الرجُلُ العادي
لهُ موقِعه في نظام النجوم
ومدارُه خارجَ حَتمية الجاذبية.

يتحفَّزُ في صُدغِه الشَّيبْ
مثلَ اللّقَاليقِ
حين تُحلّق فوق الثلوج
ولا تنحني لرياح الخريفِ
التي تُفزِعُ الروحَ من روحها
والبساتينَ من زهرها،
يتساءَلْ
هل هو مالكُ نفسه

أمْ أرنبٌ فزّعتهُ الكلاب؟
يتنغّمُ حين يجيب :
أيُّ شيء
يغل يداً
لا تُقيّدها
حاجةٌ أو نفوذْ؟

بــدايــة جديــدة

حمامةٌ تكتشف النهار
وموجةٌ خفيفة
تمسَحُ وجهَ البركة الشفيفة
ولفحةٌ قرّيةٌ تخترق الجدار

استبدتِ الشمسُ بكل صفحة السماء
في ذلك الصباح
وأمسك الزمانُ عن هِواية الدوار
لعلها ولادةٌ جديدة
من مادة أرضية فريدة
من لحظة شرود
وأصابع رفيقة
لَربما أتى الوليد معجزة
أو خلْقاً متواضعا أليفا
كألفة الكلام
ووحشتهِ المخيفة

دم يـــعـــرف

كيْف لي أن أغادر منطقة الظل
دون اختراق اللّهَبْ
ربما عَرف الدمْ شيئا
وأدرك فطرته
من شساعة قرب السماء من الأرض
واستعملَ الدمْ ذلك
في الحلم
والنظر المنطقي
وكشْف الحجابِ عن اللغز
واليومياتِ المليئة بالزمن المنْكسر.

ربما حَملَ الدمْ ذلك عبْر انسيابه
نحو جهات مسَوّرة
بالضباب
وبالشجر المتشابك
حول الجدار القديم.
ربما نبتتْ له عينان

من فطرةِ البحر
ذاك الذي جاء من قبل تاريخ
رخْو الرمال
حين كان الهواء شريدا
وليس به صوتُ أغنية
أو سياطُ جناح

طـــائر يرحـــل

(إلى خـــالد)

غُصْنُ صفصافة يَرتعش
طائرٌ يرحل الآن
منتشيا بحفيف جناحه،
أيّهذا الفضاء الفسيح
يلتقي النورُ فيك
على نقطةٍ عابرة
فتكون الزهورْ
لحظةً للتوقّع والحلم والاخضرار،
يَرحل الطائرُ المنتشي بجناحه
فأكون كما يرعش الريح
ريشَ حمامة،
يتداعى إلى لحظة الصمت
وجهٌ وذاكرةٌ ومصاهرُ ريح
فأكون أشدَّ من الريح
عاصفةً ومرارة،
ثم تصبح أرضُ التذكر
مِن بَعدِ حين

صخرةٌ يشربُ الطير
من مائها المطمئن
ويسبحُ ظلُّ الشجر
عُمْرٌ هو
أم قطرةٌ من مداد الزمان،
شجَرٌ كان بالأمس
منفرداً في الخلاء
وتنامى
وهاهي أوراقه تتناثر
ـ راضيةً ـ في الفضاء.

مـــرآة فـي مغـــارة

مرآة ماءٍ راكد
وَوَجهٌ في مغارة
يسألُ المعدنَ الصلبَ
الذي يزداد صمماً
والحجرَ الذي يزداد بكَما
والسُّحبَ التي تزداد بعداً وغرابة
يسأل عن أسمائه
وعن زمان لونه المحسوس.

الريحُ مُهر
لم تعدْ تسَعُها المغارة
ترمي بعينيها
ذاتَ اليمين والشمال
تُجرّدُ الأشجار من أوراقها
تُسْلمها صفراء للخريف
تعدو على إيقاعِ سوطِ
الفارس المسوس.

بالأمس كان جنيُ الكنوز
ينزلُ من أرض أو ينبثق من سماء
والآن لا يأتيك
بل تتبعه
بالخطوة التي تنزل النهر مرتين
نهراً يَسيل نازفاً
يَعكِس وجهك على مرآته
فلا ترى سوى لون الرماد
وتعَبِ السلالة
من وثَنٍ يُبَعث كالعنقاء
في كلمات رَثةٍ غبراء.

رويــــدك

رُويدك
لاتنس أنك لم تغْتربْ بعدُ
عن وطن الحلم،
إن الرياحَ ملائمةٌ
لِتُبدّد لون الخريف
وهَمهمةَ الهذَيان.

رُويدك
لاتنسَ غَبنَ الذي نال حق الحياة
ولم يعطِها من دمائه مَصْلا
ولا من زمانه هيمَنة العنفوان.

رُويدك
لاتنس حُزنَ الذي خيبتْه النجوم
التي تتلاشى
وتُلقي رمادَ حرائِقها للكلام
الذي يتناثر زيفاً وموعظةً وحكاية

ويَبقى قليلُه في لُحْمة الفعل
مندهشا لغيوب الخواتم
حدَّ التوحّد والذوبان
ومنه الكلامْ الذي يتباهى
بخالص مادته
ويموت حزينا
لأنه لم يلقَ في باطن الكف
حرفاً يطاول فعل الكلام.

وحين ستعرف
كم كنتَ تسترخص الأمر،
أعطِيك منفايَ
هذا الذي لستُ أعرف
موقعَه في المكان.

ذاكـــرة الـطريـــق

يَمْتدُّ خيطُ الزمنِ
طريقاً للحيتان
معراجاً للكواكبِ السيارة
وسُلّما للطـائر

يَرجُّ بذيولِهِ الخفية
سكونَ البحيراتْ
يَمُرُّ بالأجَمَةِ المُخيفة
يُحيلها مخاطف عجفاءْ
أوْ جنةً تجري بها الأنهار
وليس الخيطُ شَبحاً
يمضي بلا ظلال
كوَلْوَلَةِ الريح في الأدغال.
يمتد خيطُ الزمن النحيفْ
دخاناً من سفينة وحيدة
على أضوائها

تسير كائناتُ البحرْ
تسمع مِن رُبّانها
الحكايةَ القديمة

أنا مَن كان ها هنا بالذات
يُطلّ من حميمية الصمت
على الزمن الآتي
أنا الذي رأيته بالأمس
مَحضَ فضاء واسع
تغيب في آفاقه الأشباح
وتوقد الشموعُ من ظلاله.

لازلتُ في المَرْصَدِ
مُستظِلاً بالعراء
أراهُ الآن
خبطَ ضوء شاحب
يسعى إلى المتاهة الجوفاء

بالأمس قال
سرّعْ خطواتك
وطَهّمْ خيْلكَ
وَغَنّ ما تَيَسّرَ من أغْنياتك.
والان يمشي خارجَ الطريق
يُعلنُ عن وُجْهته
فتور النبْضِ الحيّ

ورتابة الصفير
ينفصل الأزميل
عن برودة الرخام
ما كان لانهائيا
يخرج من غباره المضيء
لَرُبَّما تكون
هذي اللحظة الضريره
عبوراً نحو يوم لا أراه
لأنه قريب
من حدّقه الصباح.

4 ـ شجر خفي الظل

الصوت العابر

أذكره يأتي مع زرقة الفجرِ
عابراً خفيفاً
جسَدُهُ منسوجٌ من فتائلَ خضراء
موصولةٍ بالكأس والتّويْجِ
وسلالة الأسماء
من أجله تنمو أشجارُ التوت
ويفتح البحرُ له
خزائنَ البروق
وتنزل السماءُ
حتى تلمسَ الجذور
بقطرةٍ شفافة وحيدة.
أذكره
يأنسُ ناراً
ويرى دخانَها
وناساً في الدخان يشحبون
يصيح، ويخونه الصوتُ
كمَن يصيح في المنام

يلقي بطيفه على الزجاج
ويغيب
يبحث عن جزيرة مغمورة
في كوكب مُسيَّجٍ
بالعشب والنسيان
يبحث في الوردة
عن أصولها الحَمْراء
لكنَّه
لا يدري
أيعيش في أحلامها
أم في يد المجرَّة الهوجاء

كتابُ النهر

يمُرُّ ماء النهر
بمُنْحدر الصخور
يُودِعها الوصيةَ الأخيرة
فليس في وسعه أن يختزن اللحظة
ويسجّل العبور،
تُعيرُه الصخور
صفحةً من سجلّها المفتوح
وحرف أبجديةٍ قديمة
رسالةً إلى دلْتا
الفناء والنشور.

كتاب النهر صخرةْ
وللمياهِ المحوْ والعبور.

أقدامٌ لمْ تصادف الصخور
أضاعتْ ملكَتها
ونسيَتْ خرائطَ الجهاتِ

والحدود
لا حد عندها
ما بين حجر وطائر
ولا بين الرقْية
ومخطوطة القصائد
ولا بين المسير والرجوع.

أقدام لم تخرجْ
على شبكةِ خطاها
يَرقةٌ تلْزمْ شرْنقتها
فأين منها رحلةُ الفراشة.

إصغاء

في عينيّ الفجرْ
وفي صدري الظلّ الوامض
لا أدري
هل أمخر موتاً
أم حيوات أخرى
أمْ أنْهاراً تمشي الهوَيْنا
وتختارُ
من فاكهة الكَرمة كأساً
كي تملأها مما كسبَتْ
من ترْب الأرض
ومن تِبر الأضواء.
بيْنا يَمضي،
ميْمنة النهر وميْسرته
ويُخاطبني، السَّرْو السامق،
بكلام لا يُسمع بالآذان الصماء :
"دَعْني أخطُو بك
ميدانَ الألْغام

أحْملك إلى حقْل الزّنبق
والياقوتِ الأزْرق
أهديك إلى دلْتا الموجِ الأبيض
فيما تُغمضْ عينيك،
وإذنْ
تتبيَّن وجهَ الشمس
من القرْص الأصفر
خارج طوْق الرؤْية
لا لون ولا كيْف،
وتراجعْ ما يتوالى
من إشراقات
لا يُدْركها عدّ الأرقام.

من نافذتي

من نافذتي
أطْلَلْتُ على نهرٍ
والنهرُ يمرّ، ولا يتلفّتُ لي،
مرَّ الأقلام على الكلمات،
منْ أغْواني
إذْ أطمعُ
أنْ يتوقّف من أجلي!
تقف الأشجارُ
على أطراف أصابِعها
لترى فصْلا
من قصّة حب النهرِ لمجراه :
يُصغي في السّهل لأسماكه
فإذا ما أدْركه الشّلال
يُلقي للريح بأثوابه
ويصاحبُ في الصخَب الأطفال.
وأنا أذبل في نافذتي
لا أعرف كيف أجدد،

مثل النهر،

دمي.

نقر العصفور زجاج النافذة
كي يُسمعني تغْريدته
ومضّى في قافلة الأضواء
وأنا في نافذتي
لا أعرف
كيف أسدّ أضواءَ المصباح
كي لا أتعثر في ظلّي
أو في شَرَكِ الأنماط.

أخترع اللونَ وأختار الأسماء

... وأنا أتسكع في أبْهاء الذاكرة
وتْفاجئني أشباحُ سراديبها
نفقاً نفقاً،
تطفو الأشباحُ
على وجه الصمتِ
وتمانعني حينَ اللّمسِ
تنفرُ من خِلقتها الأولى
وتعاند رياحَ النسيان.
كانت همهمة الريحِ مواتيةً
لتقارُبِ أوراقٍ صُغرى
وتقلُّبها في ألوان الكلمات
وضبابِ خواتِمَ مُحتملة
وبداياتٍ متوترة أخرى
لو كان لِذاكرتي
أُذنان وحنجرةٌ
دوّنْتُ أناشدها صوتاً صوتاً
لكنّ فضاء الحاضِر يُخفتها.

وإذنْ
أصغي لصدى الأصداء
برهافة سمْع الرمل
لأنْغام الموجة
أحدسُ همس الوقْف
وأفكُّ رموزَ مقامات الأصوات.
لو أسترجعُ من ذاكرتي
أندلسَ الغيْب
أعيدُ بناء مدائنها
حجراً حجراً
أختارُ لها بدءاً
من خاتمة الأوهام
وأسرّح غادتها
من ليلِ المختلسِ النشوان
ألقي بالجسد النائم
في الماءالنائم
كي ينزلَ نحوَ سماء الأرض.
لو كان لذاكرتي عينان
أسترجع ألوان النجوى
وأرى آثار الخطوة
في محو الخطوة
والنجمة في عمْق البرْكة
والحاضرَ في وجه امرأةِ
تسقي حبقاً أخضر،
والعالم عبْر رذاذِ الماء.

لو كان لها عينان
لما نسيَت ألوان الشيءِ
وأسماءَه.
وإذنْ
· أخترِعُ اللونَ
وأختارالأسماء.

الـوجـه الآخـــر

في الموعد اليومي
على رؤوس الشجرِ
وصفحة البحار
يهمس الليلُ في أذْن النهار ،
"تدخل الآن نفق المجاز
إلى وجْه القمر المتواري
وتتركُ هنا
رماد زمنك المتّلاشي.

* * *

ينسحب الزورقُ
في نهاية المساء
إلي سلام الشاطئ المهجور
يسمع الآن
رقصة الأمواج منْ بعيد
ويكشفُ الحجابَ
عن صعالك الطيور
وعن عروس الغسقِ

التي يزيدُ حسنها

بما يزيدُ حسنها

بما يزيدُ الليْلُ

حسنَ المرأةالحبيبة.

* * *

بأي شِعْرٍ

وبأي لغةٍ مَنسية

تُحاورُ الأشجارْ

في منْتصف الليل كلّ هذه السماء

وترْمُز الجوابَ

لجذُورها الخَفية.

* * *

بأي لحنٍ

يَعزف البحرُ سمْفونياته

يَبدأ منْ سَكينةِ الأعماق

وينْتهي بالصخَبِ المُزْبِد

في أروقة المرجان

على إيقاع النَّفس الشعري

أو وَتيرَةِ الزمان

* * *

أهتف بالإسم

الذي سميتُ به

ما خلْفَ الأبواب

أهتف وأنتظر الجواب،

يأتيني في ارتعاشةِ الهواءِ

ورجفته الخفيفة.
أعرفُ أني
سألقاه مرةً
وآخَري مشردٌ في عالم الأحلام
أو ناشرٌ أوراقه الخضراء
في الزحام
حنئذٍ
عليّ أن أختارْ
بين الجمال العاري
وتزلّفِ المرآة
وبين روح الطفلِ
وكثافةِ الأشياء.

زهور الليل

-1-

يَصرفكَ الدهليزْ

والزمنْ المرهونْ

بِمواعد العقارب

عن رحلةِ الخفاء والبهاء

عن صَخَب العشبِ

وعَن وشْوشة الشَّلال

وعن موسيقى العش

بعد هجرة الطيور.

-2-

يسير الظلُّ خلفَ الضوء

ناشراً خِماره

منجذباً للزمن المضيء

يَسحبُ الضوءُ ذيله

وتَختفي الظلال

وتحتفي بضوئها

ذويدَةُ الحباحبْ.

-3-

تَلتحمُ الأمواجُ

وأجنحةُ النوارس
وفجأةً تمضي النوارسُ
وتتراجعُ الأمواج
ويَبقى البحرُ غارقاً
في صمتِه الكبير
- 4 -
يقول الليلُ للمساء الخائف :
أنا أمْلكَ الموتَ
مجددةُ المنابع
إذا بَكيْتَ الشمسَ الآنَ
لنْ ترى النجومْ
والخيطَ الواصلَ
بين السكوتِ والوجومْ
والقمرَ المفتونَ بالرسائلِ الشمسية.
- 5 -
يفتحُ الليلُ خفيةً زهوره
ويزهو بألوانها النهار.
- 6 -
يَسخرُ من أصوله الصّدى،
ويستهينُ
غُصن فتي ناعم
بجِذْره المتين
يَعرف الصوتُ
كيفَ يستقِرُّ في مقامهِ
وأينَ يتْرِكُ الصّدى،
وتَصمتُ الجذورُ
في أغوارها المضيئة.

طريـــق

هَبِي لِي
يا أيتُها الخَلوةْ
مِن كنوزِك
جوهرةً تختصرُ الأسماءَ كلّها
في رجعِ لمحةِ الوَميض.
أنا طريقٌ لَيليٌّ
يُصغِي إلى حوارِ خطواته
يَنبع من جَماعِ
المَا قَبْلَ
والليلِ
واليومِ الموالي،
طريقٌ راحِل
إلى أنْ يَبتدئَ الصمتُ
وتَمتلئَ النجوم
حيثُ اليدُ

التي ترسم شبَهي

والمرأة الضدّ

التي يُتوّجها عَلَمي

طَريق لا يَحجبُه غُبار

حَتى يَرَى المسافرُ العلامة

ويَقْتَبِسَ النار.

جسد خَفِي الظل

زمن يَمُرُّ
ويَشحذُ السكينَ
يَقسم جسمَه فَقراتِ أفعى :
حاضرٌ يسعَى
وماضٍ يلْتوي حيّاً
ويَحفرُ غاره في الذاتِ.

* * *

وقوافل الأعشابِ
تَشرب من جداولِ وقتها
وتَقدّم الأزهارَ
نشْوى بالمشاعلِ
بينما تسْتبدلُ الأنهار أوجهَهَا
بماء الجدوَل الصافي.

* * *

شجر خَفي الظلّ والأوراقِ
يَسعَى في الشوارعِ
إذْ ينام الناسُ

يَحلم سائراً
حتّى يعودَ الوعيُ لنحظاتِ
* * *
خيّمْ هنا
في لحظةِ الماقبلَ
والمابعد
في المحذورِ
والمأمولِ
والهذيان
والحُلم المكوّنِ من غبار الذات
والإسمِ المحصّنِ بالطقوس.
الكُل في جسدٍ
يَشقُّ بِحارَه
بين العواصفِ والنسيم.
* * *
من يمنعُ الزمن
الذي يَمشي حثيثاً
أن يُطامنَ خَطْوه
أو يجمعَ التاريخَ في كهفٍ
ويَشهدَ رَجْعةَ الأحلام
ينْقشَ في الجدار
هِلالهُ الأسمَى
ويرسمَ أخيبيلَ نجومِه
ويقيسَ ساعتَه
بنبض الماء
في جسم المعادنِ والبحار.

نـــــزول

أنزِل من بحْرٍ
إلى نبعٍ
إلى همْسٍ
إلى كلامْ
أنزِل إلى الرأسِ
مِن أخْمصِ القَدمين.
أهوِي إلى ثُمالةِ الظلّ
الذي يَبدو
كما لوْ كان لا يبالي
أسمعُ هاتفاً باسمي
أمُدُّ يدَ بَصَرِي
أجدُه حلُما قديما،
وجها يتذكّرُ مرآته
شجرةً تعودُ لنواتها
تلك التي تَعرف ما تعرف
وتستحضر النسيان،
وكلما أتَى الكلامْ

كالملَكِ النازل
يَهوي إلى موتٍ
إلى صوتٍ
إلى مقام
أعْمَى يَتيهُ
بين شوْكِ الحرفِ
وطلاسم الأصوات
وبين بارد الذّهنِ
ونحوِ السُّوْداء
وبين فرح الشكفِ
وخيْبة الخفاء.

ظاهرُ القول

كانَ الهواءُ وحدَه
محبوساً في مغارة
محروماً من دغدغة الأغصان
ومن غِناء الطير
وتعاقبِ الألوان.
وكان الضوء شاحباً
في شرفةِ المدينة
شعاعاً غيرَ مرْئيٍ
ملفوفا في الضباب
أو شعلةً دفينة
تَنبتُ نحو الداخل
أو ظاهر القول
مِن دون باطنِ الكلام.
وكانتِ الأغلال
تَمَلُّ مِن رهينها
يَنشقُّ حائطُ السجن
والناسُ في ظلاله نِيام

سِربٌ طويل ضائع
يسيل من بُحيرة الرمال.
وسارقُ الأسطورة
يُطاول الأعالي
وَجه يُطل من كل المرايا
يَخترقُ الأضواء
يَفيضُ عن مشارف الإناء
لم يَبق متفرج سواه
في الأدراج
ينتظر النهاية الحزينة
ولا شيْءَ هنا
عدا مَسْكنةِ الأشياء.

بداية الأيـــام

صمتاً
فإن السندبادَ عاد
ببِضع كلماتٍ
ومناقبْ.
بعضُ كلامه
له ظلالٌ كالتلال
وبعضه
له شعاعٌ ثاقبْ
وبعضه
يطفو على الهواء
كَريشةٍ من طائرٌ
وبعضُه مُلتصقٌ بالأرضِ
كحجَرَة الطريق
وبعضه
يَجري كالنهرِ الجبلِي الهادر
وبعضه
يَحرنُ في اللّهاة

وبعضه طلاسِم
تُعيدُ للبحارةِ الغرقى في اليّمّ
سالفَ الحياة
وبَوْصلةَ النجمةِ القُطبية.
يتيه السندباذ
في شعاب كلماته
هو الجريح بالشررِ الطائش
وهيَ روحُه
التي تقتحم الأشياء
وحُلمه
في ليلة ميتة النجوم
ودمُه المسفوحُ
في متاهة الرمال
وصوتُه الأخير
بعد الرحلة الأخيرة.

* * *

يريد الليلُ
نقطةَ اللقاء بالغريق
والسندباذ مبْحرٌ
على شفير الشَّفقِ
والزهر يستردُّ
ما أنفقَ من رحيق
وقوسُ المطر
يزيحُ كسْوةَ الخلود
والكونُ دائريٌّ

وفقَ رؤْيةِ العيون
هنا فضاءٌ خالٍ
وهناك ربْع خال.
* * *
يريد الليلُ نقطةَ اللقاء
والبحرُ ساكنٌ
بُعيْد الغرقِ
الأخير
يُعدُّ حضنَ خوفه
للغرقِ الجديد.
* * *
سرعان ما ينبثق البركان
وتخرج الجزيرةُ الجديدة
كنفخةٍ تفلتُ
من عمومِ مجرى الريح
تخلصُ من صدام تاريخيْن
وضاءةً،
سطراً من الضوء
يمرُّ في سماء الليل
يفصلُ بين صادِق الذّكر
وبين رقية التنويم
بيْن الحقائق الصّغرى
وأحرُفِ التفخيم.
* * *
يبْحر الزورقُ
إلى المغارةِ القُطبية

تلك التي تصمتْ
لتمرَّ المعجزات،
لم يلْق السندباد، بعْدُ،
وردةَ الشروق
تلك التي
تجري على كلّ وريْقةٍ منها
مصائرُ الأيام
لا زال منْ بساطهِ الألفي
في بداية الأيام.

المقيم العابر

من أنتَ
أيها المقيمُ العابر
على جثة الأرضِ
كيف جئْت
من شريعة حميمة
شريعة الصمتِ
الذي يستبقُ الكلام.

* * *

ذاتَ مساءٍ رحلَتْ طيور
وحملتْ شظايا من مرآتي
وفي صباح عالٍ
كشجرة السّماء
يعودُ سربُ الطير
وأسترجعُ المرآة.

* * *

دعني أرى تعاقُب الشروق
على مشارق الأرض

وحيداً كالمفارقة
فجائياً كرعشةِ الزلزال
تلقائياً كشاعر
تشرقُ من إحدى عينيه الشمس
ويغيبُ في إحداهُما الظلام.

* * *

دعني أمشِ
على عصا عظامي
في ليلةٍ
تنْفضُ عنها آخرَ الأحلام
وفرسي تطأُ الأرضَ رخوة
وظلّي يمْشي صامتاً
يرسمُ شكْلَ القبر
في الرُّغام.

سهـــر

- 1-

ليل وصمت
وطيرٌ نائمٌ حذرٌ
وخاطرٌ لا ينام.
ووردةٌ
فقدتْ إحدى زُهيراتها
وودعتها بدمع ساخن
وهُيام.
هي التي ملأت كأسي
على عطشٍ
فما شربتْ
ولا ارتوتْ بها غلّتي،
فأين كأسي
التي لا زلْتُ أطلبها
أسعى
ويهربُ منّي ضوؤها العاجِل.

- 2 -

بي رمَقٌ

وفي كأسي بقيةٌ من أمْس

وقلمٌ

يكشف

ما أُفضي به إليه

ونجمةٌ

مرّت على صحرائي

ذات ليلةٍ

فلم أر سوى لمْحها العاجل.

تجليات الظل

-1-

أحياناً يغربُ عن قلمي

نورُ الكلمات

ويعوذُ لعالمه السِّري

لا يبقى من ليلِ القبْض

إلاَّ رملٌ لا مُتناهي

يتسرب بين أصابع أشيائي

حتى إشراقِ نهارِ البسْط

فإذا بي

أسألُ نوره عن ظلّه

- 2 -

في مفترق النسيان

رَمتِ الرياحُ عباءتها

وتعرّتْ آثارُ الأقدام

في طُرق الأمس المهجورة،

ونما اللاّأشيءُ

من الأصصِ العطشى

ملتصقاً بالأسماء وبالأجسام.
تمْضي الأحزانْ
ويبْقى هيْكلها العظْمي
منْسياً في ملْح الأيام.

- 3 -

يأتي هذا اليومْ إليَّ
بحلّ موقوت
يفتح في جُدران الصمت العالي
باباً يتسرّب من شقّه
نورْ المعنى
ليُشاطئ قارّات الآتي
لاأدري
هلْ يحضرْ هذا الليلَ
نورْ المعنى
ليشاطئ قارات الآتي
لا أدري
هلْ يحضرْ هذا الليلَ
نورُ المعنى
ويغوصْ على مهوى
الصّدف الغالي
ويحدّقْ في عين الوحدة
ويقيمُ لها النُّصُبَ العالي.

بين البابيْن

ها أنت تقرأ هذه الكلمات
تقرأني
وتفتح بابَك السّري لي
وتقودني نحو الجزيرة
وهي تُمعنُ في اتجاه الريح
تخرج من محيط الوعي
أحياناً
وتظهرُ في لباسِ الورْدة الأخرى
وهي غريبةٌ
رفضتْ قتامةَ قبْوها
وتعلّقت بخيوط أضواء الشراعْ
وتعود أحياناً
بشكل فراشة
في طوْرها اليَرقي
تنْسج طيفها
بخيوط وجهٍ باسمٍ
أوْ من كلامٍ هاربِ

من أسْرِ معناه القديم.
كأسي مقطرةٌ
ولكني بها أسقي
وأشربُ من ثمالة نصفها الباقي
وريحُ اليأس تعبثُ بالظلال
يئنُّ من هبّاتها ضوءٌ ضئيلٌ
يكشفُ اللاّأشيءَ
والعدمَ المهيمن
في فناء المنزلِ الشّبحي
ذي الباب القديم
الباردِ
المنْحوت في حجرٍ عقيم.

يحل المساء

يحل المساء
سأفتح نافذةً
لأطلَّ على مشهد الأمس
حيثُ السرابُ
وسربُ الطيور
يُسافر مثْل الدخان
الذي كان غوداً
قبيْل اشتعالِ المسافة
ثم هواءً
فغيماً
ولما يزلْ يتساءلُ :
من يصنع الكيفياتِ
وكيفَ تكون غداً
ثم في أي أرضٍ تموت

* * *

يضيعُ النهارُ
وأرجعُ منهزماً

- أوْ أكاد -

لأبحثَ في معجمي

عن كلامٍ

يُناسب صوتَ الإشارةِ

في فمٍ

ما يتبقّى

من الشفقِ

المتموج عبر المساء

* * *

يحلُّ المساء

وتأتي بناتُ الزمان

تذكرنني بالأماكن

من شجرٍ أو صخورٍ

تقيم لها نُصباً،

وحْده الشيئ يبقى

وتمضي إلى الصمتِ

كلُّ دماء الكلام.

أزهـار اللــوز

- 1 -

مسكينٌ ذاك العابسْ

تنوءُ عينه

بثقل صخرةِ جَبينه

من أين يهتدي

إلى الشرارة السحرية

تلك التي تقدَحُ من من قتامِ الكلمات

مشاعلَ الدهشة

وبداهةَ الحياة.

- 2 -

أمضي أنا

أما أزهار اللّوز

فتعاود الرجوع،

كلُّ خريف مرّبي

يسلبُ بعضَ جسمٍ

ويُضيفُ بعضَ رُوح

ولن أرى

سقوطَ تلك القطرةِ الأخيرة.

- 3 -

ألم يحزنك يا شمالْ

شللُ اليمين

وتيْه الأرجلِ

على الطريق المتخاذل؟

- 4 -

إنْ صعدتْ مياهُ اللُّججِ

إلى مناكبِ الجبال

ونزلتْ جبالْ

لأسافل الوِهاد

وافتقرَ الشّعرْ

إلى إبهام الترجمان،

ما خنْتُ أمّي الكلمة.

- 5 -

إيايّ ومحافلَ الرياء

ومنْ تحت سقيفتي

أرى بعضَ السماء.

- 6 -

يلْقي المساءُ ضوءَهُ

المصبوغَ بالدماء

ويكْسو الليلُ بعدهُ

الطريقَ بالنقاء.

- 7 -

يطلبني زماني
حتى إذا أدْركني
يكسوني باللاّشيْء
ويجدّد الأوهام،
قليلٌ ما يستنقده الشّعر
والبقاءُ للحطام،
لأنني وُلدت
فقد كسبْتَ الرهان.

- 8 -

من أين يأتي اللونُ والهُوية
لزهرةٍ تنبتُ في المقبرة المنسية
لعلّها العينُ
التي ينظرُ من خلالها الأموات
وربّ موتٍ
أكثرَ حياة.

كينونة

ذات زمان
كان لي
من فسحةِ الأحلام والهواجسِ رفيق :
كينونةٌ أحملُها
على عمودٍ واهم
وكان للأشياء وجهٌ واحد
وكانت الطريق قدمين
يسميان الماء والأشجارَ
بأسمائها الأوائل.
والآن لا أكاد أتبينُ الطريق
إلا كجسْرٍ واصل
يربط بيْن جسدي والأرض
أو جدولٍ
يمضي سريعاً
قبل أن يطفئه الحريق.

المرايا المشرعة

ها أنت رهْن الصومعة
تحيا بذاكرةٍ
ونسيانٍ معا
تتذكر البعداء والغرباءَ
واليومَ الذي ولّى
ولمْ ترحلْ معه
أثرْ اختراقِ النيزك السرّي
يخمد ثم يهمدْ
في خفايا الذاكرة
هو وجهها المنسيْ
في كهفِ الحدود الساهرة،
ومدينةُ الأموات
تغرقُ في رمال الزوبعة
تمشي
وتختلس الخُطى للخلف
تخشى
ما إذا كانتْ

تجاوزت الطريقَ الحقَّ
عند السنديانة
حيث فار النهرْ من صخرٍ
وغادر منبعه،
الأمس، في الخيالِ،
والآتي سواءٌ
في المرايا المُشرعة.

حـــرف

ينسفُ الحرفُ وجهَ المرايا
ويسأل :
هل يدرك الصوتُ غايته
ويحدّق في أعين الصّمت
حين يؤشّر
أم حينَ يوقدُ
في الصفحة النارَ
حين يحيلُ نصاعتها
فرساً أو غزالة
ثم يكشف عن بلهِ العتماتِ
وعن فرحة الفوزِ
في جولةٍ سابعة.

الحروف والرياح

الرياحُ حديثةُ عهدٍ بمعتقها
وسليلةُ أسْر
ربما عرفتْ ما ارتعاشُ الشراع
وخيبةُ صبح السفينة
لكنّ ذاك الذي صنَعَ الفلْكَ
كانَ مُراداً
ومهتدياً بضَلالهِ.
الرياح رهينة موْج البِحار
التي لا قرار لها،
كلّما لمستْ قمّة السّنديانةِ
فاتها غيبُ النّواة،
زمنٌ للرياح
ومثْله للحرْف
قبْل امتدادهما
في مسافة صمتٍ كبير.
تملأ الريحُ جوفَ الحروف
فتأبى الحروفْ

قيود دلالتها
وشروط الشهادة،
والحدُّ، كالعدّ، قاطع،
والحروفُ جوامحُ
بالرّسم والوَسم
وهي قديمة عهدٍ بعاشقها
وحديثة قيْد
والرياحُ محتْ أثراً
من طريقٍ
على قدرِ بعْد المسافة
يصغر ظلّ المسافر فيه
ولا يمْسكُ الظلّ ماسك

يعلو الطائرُ... تهوي الكلمات

كان الطائرْ
يجهل مثلي
أن هنيهة تحليقْ
ما بين نواسيت التفريقْ
ولواهيت التحقيقْ
تعدلْ كلَّ الصلواتِ
وتفْجأه عارٍ
لا يخجلْ من عرْيه
إذْ لا عينَ سواه.
كان الطائرْ
يعلو سرْبَه
ويغوص وراءَ حجابِ الوهم
يكتبُ في الأفق غداً
لن يقرأه أبداً
هلْ يمْهلني
حتى أكتبَ في الأرضِ
معانيه، خطوات؟

مافي الجبة
إلاّ كلمات
مما يتساقطُ
من زَهر الشجرِ المسوس،
لا تنتظرُ الزهرةْ
أنْ أفهمَها
إلا أنْ أرسمها
في وجه الماء
لا في وجه المرآة،
تهوي من كائنها العلوي
إلى أجرومية أدنى
تذوي
حينَ يَصير المضمونْ
دماً دالاّ
في ذاكرة المدلول
ويصير الشيء صفات
وذواته في طيّ المجهول.

ورقة من مذكرة حرْف

كان السالك يَرحل وحْده
في كل مساء
يركب آخر إبحار الشمس
بيْنَ السُّحب الوردية والبيضاء
مخطوفاً بالقُطبِ الأبعد
قل هو السمتُ
أو الأوج
أوْ وجهُ المرآةِ الممتد
لكنْ
لابد من الرائي
كي يكتمل المشْهد
ويرى دنو الأعشاب من الأرض
وتمسُّكها بالجذْر العلْوي الصاعد،
هذا الجسد الطاغي الواحدْ
في أعيان الأشياء، كثير
أشياءٌ هيَ
وليستْ هي.

* * *

يشتاق الطينُ إلى الطير
ويحنُّ الماءُ إلى الغيم،
نهرٌ
يختلف الفائتُ فيه
عن الثابت
قلْ هو النبع
أو البحرُ
أو أقواس القُزح الزائف.

* * *

ما كانت غاباتٌ
تفتقر إلى ملك غالب
يأتي من مملكة الأدوات
ينتزع النار من الضوء
والفتنة من شوق الشهوات
يمزجُ ماءَ الكهف النائم
بالتيارِ الهائم.

* * *

كان الحرف
من قبْل هنا
محفورا في الصّخر الناصع
يرمزُ للغابة بالكفّ
النقوشة بالسّر
ووصية ربّان النهر
يستبدل أسلافه

ما بين السالف واللاحقْ
ينسى أحيانا
كاتبه السابقْ
فإذا صارّ الحرفان سواء
يطغى النبي المزعومْ
على الصادق.

خاتمــة

قالت الدمعة الناشفة
لن أعاين عاقبة الحال
وهو يبدل هويةً بالبكاء
على وردة يابسة
وعلى رغبةٍ
لم تغادر مغارتها البائسة
فهي في الأرض
كالبذرة الفاسدة.
وغداً
لن أعيد الذي قلتُ
في اللحظة اليائسة
فالكلامُ جديدٌ
وكمْ للحكايةِ
من خاتمة.

الفهرس

آخر أعوام العقم

الحلم في زمن الوهْم

1 ـ الحلم

2 ـ قصائد سائبة

شجر خفي الظل

صـدر عن

وزارة الثقـافة والاتصال

الأعمال الكاملة
محمد الميموني

الجزء الأول
■
الجزء الثاني
■



الثمن:
45 درهما